تحية إلى "إبتهال ابو السعد"

التجاني صلاح عبدالله المبارك

الطبعة التمهيدية
2025م_1446ه

تحية إلى "إبتهال ابو السعد"

التجاني صلاح عبدالله المبارك

الطبعة التمهيدية 2025م_1446ه

تحية إلى "إبتهال ابو السعد"

التجاني صلاح عبدالله المبارك

الطبعة التمهيدية 2025م_1446ه

الحكومة الموازية وذيل أزعر

استضافت الحكومة الكينية مؤخرا قيادات الدعم السريع وحلفائها السياسيين، لتوقيع ميثاق لتشكيل حكومة موازية في السودان، يهدف إلى علمانية ديمقراطية لا مركزية، تقوم على الحرية والمساواة والعدالة، دون تحيز لأي هوية ثقافية أو عرقية أو دينية أو جهوية. كما تحدد خططا لإنشاء "جيش وطني جديد وموحد ومهني" بعقيدة عسكرية جديدة "تعكس التنوع والتعددية التي تميز الدولة السودانية". [1]

تعريف الحكومة الموازية :

الحكومة الموازية هو مفهوم يقوم على انشاء وتكوين حكومة لها دستور وقانون منفصل تماما عن الدولة الأساس، ويستهدف

القائمون عليها تطبيق أسس جديدة للحكم في البلاد، وهي بذلك تختلف عن الحكومات الأساسية في الدولة التي تكونت وفق معايير وقوانين دستورية أصيلة، وتختلف ايضا بنفس القدر عن حكومات الظل.

تعريف حكومة الظل :

يعرف مصطلح «حكومة الظل» بأنه عبارة عن: «حكومة غير رسمية ودون قوة فعلية، تضم أعضاء من الأحزاب المعارضة للحزب الموجود بالسلطة، وتعمل على توجيه النقد للحكومة الحالية، وتوفير منظور مختلف للسياسات التي تنفذها الحكومة الفعلية». وتعمل تلك الحكومة على أن تظهر نفسها كبديل للحكومة الفعلية في بعد الانتخابات المقبلة، وعادة ما يكونها أكبر الأحزاب المعارضة. [2]

مع هذا تكون حكومة الظل أكثر فعالية وقبولا من الحكومة الموازية، التي ربما لا تجد لها رواجا وقبولا ووجودا في النظام الإقليمي أو العالمي، لأنها تعبر عن

شخصيات وكيانات مهزومة بالأساس، سواء كانت هزائم ميدانية أو هزائم سياسية، أو هزائم مجتمعية واخلاقية، ولأن فاقد الشيء لا يعطيه، فلا يتوقع من هذه الحكومات خيرا أو اصلاحا، بل هزائم أخرى متعاقبة، وفشلا متواصلا في كافة المحاور السياسية أو المجتمعية أو العسكرية .

تعريف اخر للحكومة الموازية أو الدولة الموازية :

وقد يطلق التعبير ويراد به وصف مجموعة من المنظمات أو المؤسسات التي تشبه في هيكلها وتنظيمها وإدارتها الدول، ولكنها لا تعتبر جزءا رسميا من الدولة الشرعية أو الحكومة، وتعمل الدولة الموازية أو الكيان الموازي (بالإنجليزية Parallel : state)هو مصطلح صاغه المؤرخ الأمريكي " روبرت باكستون " في المقام الأول على تعزيز الأيديولوجية السياسية والاجتماعية السائدة في الدولة. [3]

وتبعا لذلك التعريف فان الكيان الموازي للدولة أو الحكومة الموازية، هي حكومة أكثر فعالية ومساعدة للدولة في القيام بواجباتها ودورها المنوط بها، فهي كيان مساعد وفعال، بعكس المعنى الاول للحكومة الموازية التي تنصب من نفسها بديلا أكثر صلاحية، ويلغي وجود الحكومات القائمة من الاساس ويعمل على نزع شرعيتها وصلاحيتها .

ردود الفعل على اعلان ميثاق الحكومة الموازية في السودان

رد فعل مجلس الأمن :

وفي ردود الفعل على اعلان توقيع ميثاق الحكومة الموازية في السودان أعرب مجلس الامن عن قلقه البالغ إزاء توقيع ميثاق لتأسيس سلطة موازية في السودان وأكد أعضاء مجلس الأمن أن مثل هذه الإجراءات من شأنها أن تؤدي إلى تفاقم الصراع الدائر في السودان، وتفتيت البلاد، وتفاقم الوضع الإنساني المتردي بالفعل، وأكد المجلس دعمه لسيادة السودان ووحدته، داعيا إلى

وقف للأعمال العدائية وحوار سياسي شامل يقود إلى حكومة مدنية منتخبة بعد الفترة الانتقالية. وحث المجلس على احترام القانون الدولي وقرارات المجلس حول حظر السلاح على دارفور، داعيا الدول إلى عدم التدخل لتأجيج الأوضاع، ومشيدا بجهود المبعوث الأممي " رمضان العمامرة " لإيجاد حل سلمي دائم. [4]

رد فعل الخارجية السودانية :

وفي رد فعل من الحكومة السودانية استدعت الخارجية السودانية، سفير السودان لدى كينيا " كمال جبارة " احتجاجا على استضافة كينيا اجتماعات المليشيا المتمردة وحلفائها، في خطوة عدائية أخرى ضد السودان، حسب بيان للخارجية وأبدت وزارة الخارجية السودانية أسفها لسماح كينيا بإقامة فعالية "الميثاق السياسي"، الممهد لتشكيل حكومة الدعم السريع الموازية، معتبرة ذلك تشجيعا للانقسام وإعلانا لمعاداة الشعب السوداني. ووصفت الوزارة موقف الرئيس" روتو" بالمشين،

بعد "احتضانه وتشجيعه مؤامرة تأسيس حكومة لمليشيا الإبادة الجماعية وتابعيها وأضافت أن ما يجري في نيروبي هو اجتماعات بين "مليشيا الجنجويد الإرهابية وتابعيها، بهدف تأسيس حكومة موازية للحكومة الشرعية القائمة". وذكرت الوزارة أن "نيروبي أصبحت أحد المراكز الرئيسية للأنشطة السياسية والدعائية والمالية واللوجستية للمليشيا". [5]

رد فعل هيئة الامم المتحدة :

أما الامم المتحدة فقد أعرب المتحدث باسم الأمين العام للأمم المتحدة " أنطونيو غوتيريش"، عن قلق المنظمة الدولية إزاء إعلان قوات الدعم السريع تشكيل حكومة موازية في السودان حكومة السلام والوحدة، وحذر المتحدث" ستيفان دوجاريك"، من أن هذه الخطوة قد تزيد من حدة الانقسام وتفاقم الأزمة المستمرة في البلاد. وأكد وفقا لوكالة الصحافة الفرنسية، أهمية الحفاظ على وحدة السودان وسيادته وسلامة

أراضيه، كشرط أساسي للتوصل إلى حل دائم للنزاع. [6]

رد فعل مصر من الحكومة الموازية :

اما موقف مصر من طرح الحكومة الموازية فقد مثلت تحركات تشكيل «حكومة موازية» في السودان، مخاوف مصرية من تفكك البلاد، التي تعاني من حرب داخلية اندلعت قبل نحو عام ونصف العام، وشردت الملايين. وقال وزير الخارجية المصري "بدر عبد العاطي "، إن «بلاده مع استقرار السودان ومع بسط سيادته على كل الأراضي السودانية»، مشيرا إلى أن «هذا أمر ثابت في السياسة الخارجية المصرية ولا يمكن أن تتزحزح عنه". واعتبر وزير الخارجية، في مؤتمر صحافي مشترك، مع المفوضة الأوروبية لشؤون المتوسط " دوبرافكا سويتشا "، «تشكيل أي أطر موازية قد تؤدي إلى تفكك الدولة السودانية خطا أحمر بالنسبة لمصر ومرفوضا تماما». [7]

رد فعل قيادة الحزبين الامة والاتحادي الديمقراطي لمشاركة الموقعون باسميهما وتبرؤهما منهما :

استبق الحزب الاتحادي الأصل التوقيع على الميثاق بتوضيح صحفي أشار فيه إلى أن" إبراهيم الميرغني " قد تم فصله من الحزب منذ الرابع من ديسمبر/كانون الأول ٢٠٢٢ ولم يعد يمثل إلا نفسه بمشاركته فيما يسمى بميثاق السودان التأسيسي بنيروبي.

وفي السياق، أوضحت " رباح الصادق المهدي " القيادية بحزب الأمة القومي في منشور على صفحتها بفيس بوك قبل أيام من توقيع رئيس الحزب "فضل الله برمة ناصر"، أن مشاركة "برمة" في تشكيل الحكومة المدنية الموازية انتحار سياسي لشخصه ومحاولة لنحر الحزب. وقالت "إن خيارات اللواء" برمة " خيارات تخصه، أما هذا الحزب فقد بنته مجاهدات وأقيم على أسس ومبادئ ديمقراطية ومؤسسية"، معتبرة أنه لا يمكن لأحد أن يتجاوزها أو يتجاهلها، وأكدت أن الحزب بريء من ذلك. [8]

ردود فعل وهرطقات داعمة للحكومة الموازية :

ولأن الحكومة الشرعية في السودان قامت بنقل كل الوزرات الحكومية في ولاية الخرطوم إلى مدينة بورتسودان العاصمة الادارية الجديدة، بعد اندلاع الحرب بين قوات الدعم السريع المتمردة وقوات الجيش النظامية في ١٥ ابريل/نيسان ٢٠٢٣ ، حيث تقوم مدينة بورتسودان بعد سلسلة جبال ممتدة، تهرطق البعض و ذهب الى ان الأمر فيه رمزية لا يدركها الا من أدمن النظر واعمل الفكر، لان الكيزان (الاسلاميون) لم يختاروا عطبرة أو كوستي ولكنهم اختاروا مدينة بورتسودان المطلة على البحر الاحمر لتسهل عملية الهروب الكبير الذي سيلجونه، بل أنهم (أي المهرطقون) جزموا ان تماسكهم المعنوي قد تضعضع وان اوان ذهابهم قد اوشك وقد يطول الوقت، وقد يقصر، لذهابهم النهائي، وفقا لعوامل ومتغيرات كثيرة، لكنهم حتما ذاهبون، في نهاية الأمر. فمثل هذا الشر المستطير

مصيره الزوال. وكما قال ملك ملوك الحكمة في الشعر العربي، أبو الطيب المتنبي :

" أين الأكاسرة الجبابرة الألى، كنزوا الكنوز، فما بقين، ولا بقوا / من كل من ضاق الفضاء بجيشه حتى ثوى فحواه لحد ضيق / فالموت آت والنفوس نفائس والمستعز بما لديه الأحمق".. ثم خلصوا الى ان إعلان الحكومة الموازية في الأراضي التي تسيطر عليها قوات الدعم السريع هو الفرصة الوحيدة المتبقية لنزع زمام المبادرة من القوى الكيزانية. وهو الذي سيعجل بإيقاف الحرب وفرض خيار السلام. [9]

الحكومة الموازية والواقع الجديد :

ولأن الحكومة الموازية أو الحكومة البديلة أو الحكومة الشرعية الجديدة المزمعة، ولغت في دماء السودانيين، وشردتهم قوات الدعم السريع المتمردة والمرتزقة من ديارهم، وقتلت الابرياء والنساء والشيوخ والاطفال، وارتكبت كل الجرائم البربرية، فانه لا يتوقع ان تجد

شعبا مرحبا بها ، بعد ان اظهرت ممارستها البربرية والوحشية انها لا تعمل على اعادة الديمقراطية التي ينادون بها ، ويصدعون رؤوس الناس بها ، ولكن اينما حلت عملت على السرقة والنهب والاغتصاب والقتل البربري، ولا يدري السودانيون اي جريمة كبرى ارتكبوها !

وفي ملاحظاتنا على اعلان توقيع ميثاق الحكومة الموازية في السودان نسجل النقاط الاتية :

1_كشفت محاولات اعلان الحكومة الموازية القناع عن حقيقة من يدعون الحياد في الحرب الدائرة، وهم في حقيقتهم دعاة انقسام وتجزئة وتفرقة، وبدت سوءاتهم للناظرين .

2_اعلان الحكومة الموازية هو ورقة اخرى تلي الفشل في الخطة (أ) وهي السيطرة على الدولة السودانية، ويعتبر محاولة اخيرة في فصل الصراع بين القوات المتمردة وقوات الجيش النظامية .

3_لن تتمكن الحكومة الموازية من ممارسة سلطتها القانونية الدولاتية ، في وقت تتزايد فيه انهيارات الميليشيا في كافة المحاور، وهروب قوات الدعم السريع من كافة الأراضي السودانية، ومع احكام قوات الجيش قبضتها على العديد من المناطق التي احتلها الدعم السريع مؤخرا .

في هذا السياق يقول "كاميرون هدسون" خبير الشؤون الأفريقية في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية (CSIS) في تغريدة على منصة اكس ٧ مارس /اذار ٢٠٢٥: أن تشكيل حكومة موازية من قبل قوات الدعم السريع هو مجرد خدعة اعلامية، لاستعادة الشرعية السياسية بعد سلسلة من الهزائم الساحقة .

Some of my thoughts on the RSF's new government: "The formation of a parallel government by the RSF is more of a media stunt to regain political legitimacy after a series of crushing battlefield defeats."

4_لا يتم اجهاض الحكومة الموازية اجهاضا تاما، ووادها في المهد، إلا بتماسك الصف الوطني وقوات الشعب المسلحة، وزيادة القوة الصلبة وتفعيلها، لتحرير كامل الاراضي السودانية ضد اي قوى طامعة في التمكن من مصالحها في الدولة السودانية .

سيستمر مسار الحكومة الموازية بسبب رغبة شركات عالمية في الاستفادة من موارد السودان، ولن يتحقق لها ذلك إلا في وجود سلطة هشة في السودان..الإجهاض الحقيقي لتلك التحركات يعتمد على التفاعلات الداخلية بالسودان، أكثر من الموقف الدولي، خصوصا قدرة الجيش السوداني على استعادة كامل الأراضي التي تسيطر عليها (الدعم السريع) وخصوصا دارفور.[10]

إن اي نصر تحققه قوات الجيش ميدانيا وسياسيا، هو فيما اتصور معول يعمل على تحطيم اي احلام في تثبيت دعائم الحكومة الموازية.. "صباح موسى" الصحفية المصرية المتخصصة في الشأن الإفريقي قالت في منصة

اكس ٢٥يناير/كانون الثاني ٢٠٢٥: إلى الذين يروجون على أنه تم الاتفاق على الخرطوم مقابل الفاشر أقول لهم بالسوداني: قوموا لفوا. وبالمصري: ده قصر ديل يا أزعر. وهذا قول يتسق تماما مع ما أفضت فيه في صلب المقال.

المصادر:

[1] _نهى أحمد عبد الرحمن أبو العنين، التوقيع على ميثاق " حكومة السلام والوحدة " وأثره على وحدة السودان، المركز الديمقراطي العربي،١مارس/اذار٢٠٢٥، (تاريخ الدخول: ٨ مارس /اذار ٢٠٢٥): https://tinyurl.com/2p8y2aya

[2] _انظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا، حكومة الظل، (تاريخ الدخول: ٨ مارس /اذار ٢٠٢٥):

https://tinyurl.com/y6bv7vjk

[3] _انظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا، الكيان الموازي، (تاريخ الدخول: ٨ مارس /اذار ٢٠٢٥ :(
https://tinyurl.com/3newv359

[4] _ النور أحمد النور، كيف يمكن تقييم رد السودان على احتضان كينيا اجتماع "الحكومة الموازية"؟، موقع الجزيرة نت، ٢١فبراير/شباط٢٠٢٥، (تاريخ الدخول: ٨ مارس /اذار ٢٠٢٥ :(
https://tinyurl.com/mws7bh7u

[5] _المصدر السابق.

[6] _فتح الرحمن شبارقة، هل ينجب تحالف "الميثاق التأسيسي" حكومة موازية في السودان، موقع الجزيرة نت، ٢٣فبراير/شباط٢٠٢٥، (تاريخ الدخول: ٨ مارس /اذار ٢٠٢٥ :(
https://tinyurl.com/5yyx7ck5

[7] _أحمد إمبابي،«خط أحمر»... «الحكومة الموازية» تثير مخاوف مصرية من تفكك السودان، موقع صحيفة الشرق الاوسط،

٣مارس/اذار ٢٠٢٥، (تاريخ الدخول: ٨ مارس /اذار ٢٠٢٥ :)
https://tinyurl.com/rpfnvkmv

[8] _فتح الرحمن شبارقة، مصدر سابق.

[9] _النور حمد، الحكومة الموازية هل هي بداية المخرج؟،موقع صحيفة سودان تمورو،٧ يناير/ كانون الثاني ٢٠٢٥، (تاريخ الدخول: ٨ مارس /اذار ٢٠٢٥ :)
https://tinyurl.com/4k6t32dh

[10] _أحمد إمبابي، مصدر سابق

الشاعر الذي تمنى أن يكون بعيرا !

بعض الأهداف أو الرغبات الشخصية أو الآمال التي يسعى البعض لتحقيقها سعيا جادا وحثيثا ، ربما تصطدم في احيان كثيرة بصعوبات أو حواجز وعوائق تحول دون تحقيق تلك الأهداف والرغبات، رغم أنه لم يدخر وسعا لنيلها وتحقيقها وانفاذها ، وعمل جادا لتذليل كل الصعاب التي تعترض طريقه .

وعندما توصد الابواب أمام الرغبات والأهداف التي يسعى لها الفرد ، وتستحكم حلقات الضيق والشدة، فإن البعض ربما يهرب من عالم الواقع الذي يعيشه إلى عالم آخر يصنعه بنفسه ، وهو عالم الخيال والاحلام ؛ حيث لا قيود لرغباته ولا موانع

لمتطلباته، بل أنه ليجد في ذلك العالم الافتراضي أو الخيالي كل رغباته وأمنياته سهلة التحقيق والوصول، بعد أن كانت في الواقع المنظور صعبة المنال، بالغة التعقيد .

القصيدة التي سأكتب عنها هي واحدة من قصائد الحسرة الموجعة، التي اصطدمت فيها الرغبات الصادقة بالواقع المستحيل!، والعواطف الجياشة بالرفض والمنع، والتي يهرب فيها شاعرنا من عالم الواقع الى عالم الخيال والافتراض !

تمنى كثير عزة (اسمه الحقيقي كثير بن عبد الرحمن بن الاسود، إلا أنه اشتهر بالاسم الأول لتعلقه ومودته الكبيرة بعزة الضمرية، وقد وصفتها امرأة رأتها فقالت: امرأة حلوة حميراء نظيفة) تمنى أن يكون هو و "عزة " بعيرين أجربين! وهي أمان مستغربة ومنفرة، لا يمكن تصورها أن تصدر من أشخاص طبيعيين فيما بينهم، ناهيك عن أن تكون بين محبين مثل "كثير " و "عزة "، لكن عندما يبلغ اليأس مداه وتكمل حلقات

الشدة وتنعدم الحلول كما يظهر لهم (مع أن أي فرد إذا انعدمت أمامه الحلول وانسدت أمامه السبل ليس في وسعه إلا الرضا والتسليم بالقدر واللجوء إلى الله ذو القوة المتين) عندما يبلغ مداه فان البعض يطلق لخياله العنان، فيصنع واقعا في عالم الخيال (الذي يهرب إليه) يجد فيه كل ما كان منه محروما، ويتحقق فيه كل ما كان مستحيلا. وقبل أن نذكر الابيات التي يتمنى فيها "كثير" ذلك التمني المذموم، ينبغي أن نشير إلى أنه وجد ظلما من مجتمعه، وهي قبيلة خزاعة، وجد ظلما بدءا من اسمه إذ غلب عليه اسم التصغير!، وربما يكون التحقير أيضا!، خاصة وأنه كان قصيرا ودميما، وهو نفسه يشير إلى اسمه بمعنى الكثرة في الابيات التي يقول فيها:

فوا حزنا لما تفرق واسط

وأهل التي أهذي بها وأحوم

وقال لي البلاغ ويحك إنها

بغيرك حقا يا كثير تهيم

ومع الخطأ في تحريف اسمه بصيغة التصغير والذي لازمه إلى مماته، ورغم أنه لم يهتم به كثيرا لاعتزازه وثقته الكبيرة بنفسه، فقد واجه مصيبة اعظم من ذلك، فإنه ما أن أحب " عزة " الضمرية أو "أم عمرو" (كما يكنيها أبوها)، فإن أسرتها بادرت فورا بتطبيق أعراف القبيلة، المتمثلة في تزويج " عزة " لأول خاطب بعد أن ملأ "كثير " الدنيا بأشعاره التي يناجي فيها "عزة " ، ومن ثم تجب عليهم الهجرة فورا ومفارقة الديار طبقا لتلك التقاليد والاعراف ، وهذا ما حدث بالفعل فقد فارقوا ديارهم إلى مصر، وهذا بدوره من جملة الاسباب التي عظمت من شقاء "كثير" ودفعته إلى أن ينفس عن شوقه الحبيس ل-" عزة " التي لم يقدر أن تكون زوجه وملكه، بتلك الابيات الخالدة ، والتي على طرافتها وصدقها، توضح حجم المأساة التي وقع فيها والتي كان هو و

" عزة " أول ضحاياها والمكتوين بها ، وهي الابيات التي يقول فيها :

لعزة إذ حبل المودة دائم

وإذ أنت متبول بعزة معجب

واذا لا ترى في الناس شيئا يفوقها

وفيهن حسن لو تأملت مجنب

هي الحرة الدل الحصان ورهطها

إذا ذكر الحي الصريح المهذب

هضيم الحشا رود المطا بخترية

جميل عليها الأتحمي الممنشب

رأيت وأصحابي بأيلة موهنا

وقد لاح نجم الفرقد المتصوب

لعزة نارا ما تبوخ كأنها

إذا ما رمقناها من البعد كوكب

تعجب أصحابي لها حين أوقدت

وللمصطلوها آخر الليل أعجب

إذا ما خبت من آخر الليل خبوة

أعيد لها بالمندلي فتثقب

وقفنا فشبت شبة فبدا لنا

بأهضام واديها أراك وتنضب

ومن دون حيث استوقدت من مجالخ

مراح ومغدى للمطي وسبسب

أتتنا برياها وللعيس تحتنا

وجيف بصحراء الرسيس مهذب

جنوب تسامي أوجه الركب مسها

لذيذ ومسراها من الأرض طيب

فيا طول ما شوقي إذا حال دونها

بصاق ومن أعلام صندد منكب

كأن لم يوافق حج عزة حجنا

ولم يلق ركبا بالمحصب أركب

حلفت لها بالراقصات إلى منى

تغذ السرى كلب بهن وتغلب

ورب الجياد السابحات عشية

مع العصر إذ مرت على الحبل تلحب

لعزة هم النفس منهن لو ترى
إليها سبيلا أو تلم فتصقب
ألام على أم الوليد وحبها
جوى داخل تحت الشراسيف ملهب
ولو بذلت أم الوليد حديثها
لعصم برضوى أصبحت تتقرب
تهبطن من أكناف ضأس وأيلة
إليها ولو أغرى بهن المكلب
تلعب بالعزهاة لم يدر ما الصبا
وييأس من أم الوليد المجرب
ألا ليتنا يا عز كنا لذي غنى
بعيرين نرعى في الخلاء ونعزب
كلانا به عر فمن يرنا يقل
على حسنها جرباء تعدي وأجرب
إذا ما وردنا منهلا صاح أهله
علينا فما ننفك نرمى ونضرب
نكون بعيري ذي غنى فيضيعنا

فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب

يطردنا الرعيان عن كل تلعة

ويمنع منا أن نرى فيه نشرب

وددت وبيت الله أنك بكرة

هجان وأني مصعب ثم نهرب

ورغم أن الابيات ربما صورت أمنيات تتسم بالغرابة والفظاعة، إلا أن الشاعر "كثير" لم يجد فيها شيئا من ذلك، بل وجد قسطا كبيرا من السعادة والاطمئنان النفسي، الذي افتقده في الواقع المنظور المستحيل، وعلاجا مؤقتا للأزمة النفسية التي كان يمر بها. ولا يمكن معاقبته فيما افترضه في عالم الخيال والاحلام بعد أن تمت معاقبته فعلا في عالم الواقع.

تلك الوسائل!!

مهما اتبع الانسان من سبل ووسائل في تهذيب النفس الإنسانية، وتخليصها مما يمكن ان يشوبها، ويغيرها ويحط من قدرها وينقص منها، حتى تصل إلى درك الحيوانية، فيصير الإنسان كما الأنعام والبهائم سواء بسواء، بدلا من علوها وارتفاعها إلى درجات الصفاء والملائكية، مهما اتبع فانه لا يجد في تقديري وسائل وسبل، أفضل وأنجع واقوم، من تعاليم وتوجيهات وفروض ديننا الإسلامي الحنيف.

ولأن الانحطاط والهبوط إلى الطبيعة الحيوانية هو من عمل الشيطان أولا، ومن النفس الامارة بالسوء، فقد وضع الدين الإسلامي علاجا وترياقا، وموجهات وضوابط لكل الغرائز الانسانية الفطرية، وهي من شأنها (أي الموجهات) أن تكون كابحا فعالا

لهذه الغرائز، واعادة بوصلتها وتوجيهها توجيها صحيحا .. من هذه الغرائز ميل الرجل وانجذابه للأنثى، فكان غض البصر عن المرأة، هو اولى الخطوات الواجبة لإلزام النفس الانسانية وتقويمها ، وكبح نوازع الشهوة فيها ، وقطع الدواعي لها ، ثم ان التماس الزواج للشباب هو احفظ للنفس وأكمل للدين، أو الصوم عند عدم المقدرة والاستطاعة فانه لهم وجاء .

في كتب التراث العربي تحديدا كتاب الحيوان، ذكر "الجاحظ" قصة ابن المبارك الصابي، وهي على طرافتها وجزالة لغة الجاحظ، مثال جيد في ذكر النساء ومحلهن من قلوب الرجال، مهما سلك الفرد من وسائل وسبل غير التي أمر وحث عليها الشرع الحنيف، وقد كان يكفي ابن المبارك في رأيي أن يغض بصره، ويبعد عن مخالطة النساء، ويلتمس ما أمر الله به، بدلا من تعذيب النفس وتحميلها فوق طاقتها !

يقول الجاحظ: حدثني محمد بن عباد قال: سمعته يقول - وجرى ذكر النساء ومحلهن من

قلوب الرجال ، حتى زعموا أن الرجل كلما كان عليهن أحرص كان ذلك أدل على تمام الفحولة فيه ، وكان أذهب له في الناحية التي هي في خلقته ومعناه وطبعه، إذ كان قد جعل رجلا ولم يجعل امرأة – قال أبن عباد، فقال لنا : ألستم تعلمون أنى قد أربيت على المائة ، فينبغي لمن كان كذلك أن يكون وهن الكبر، ونفاد الذكر ، وموت الشهوة ،وانقطاع ينبوع النطفة ، قد أمات حنينه إلى النساء وتفكيره في الغزل؟!قال : قلنا : صدقت. قال: وينبغي أن يكون من عود نفسه تركهن مددا ،وتخلى عنهن سنين ودهرا ، أن تكون العادة وتمرين الطبيعة، وتوطين النفس ، قد حط من ثقل منازعة الشهوة ، ودواعي الباءة ، وقد علمتم أن العادة التي هي الطبيعة الثانية، قد تستحكم ببعض عمد هجر لملامسة النساء . قال: قلنا: صدقت. قال: وينبغي أن يكون من لم يذق طعم الخلوة بهن ولم يجالسهن متبذلات ، ولم يسمع حديثهن وخلابتهن القلوب ، واستمالتهن للأهواء،

ولم يرهن منكشفات عاريات ، إذا تقدم له ذلك مع طول الترك ، ألا يكون بقى معه من دواعيهن شيء؟! قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي أن يكون لمن قد علم أنه مجبوب، وأن سببه إلى خلاطهن محسوم ، أن يكون اليأس من أمتن أسبابه إلى الزهد والسلوة ، وإلى موت الخواطر . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي أن يكون من دعاه الزهد في الدنيا ، وفيما يحتويه النساء مع جمالهن وفتنة النساك بهن، واتخاذ الأنبياء لهن، إلى أن خصى نفسه، ولم يكرهه عليه أب ولا عدو ، ولا سباه ساب، أن يكون مقدار ذلك الزهد هو المقدار الذى يميت الذكر لهن ويسرى عنه ألم فقد وجودهن ، وينبغي لمن كان في إمكانه أن ينشئ العزم ويختار الإرادة التي يصير بها إلى قطع ذلك العضو الجامع لكبار اللذات ، وإلى ما فيه من الألم، ومع ما فيه من الخطر ، وإلى ما فيه من المثلة والنقص الداخل على الخلقة ، أن تكون الوساوس في هذا الباب لا تعروه ، والدواعي لا تقروه .

قال : قلنا :صدقت . قال : وينبغي لمن سخت نفسه عن السكن وعن الولد ، وعن أن يكون مذكورا بالعقب الصالح ، أن يكون قد نسى هذا الباب ، إن كان قد مر منه على ذكر . هذا وأنتم تعلمون أنى سملت عيني يوم خصيت نفسى ، فقد نسيت كيفية الصور وكيف تروع ، وجهلت المراد منها ، وكيف تراد، أفما كان من كان كذلك حريا أن تكون نفسه ساهية لاهية مشغولة بالباب الذى أحتمل له هذه المكاره ؟! قال : قلنا : صدقت. قال: أو لو لم أكن هرما ، ولم يكن ها هنا طول اجتناب ، وكانت الآلة قائمة أليس في أنى لم أذق حيوانا منذ ثمانين سنة ولم تمتل عروقي من الشراب مخافة الزيادة في الشهوة ، والنقصان من العزم أليس في ذلك ما يقطع الدواعي، ويسكن الحركة إن هاجت ؟ ! قال: قلنا : صدقت. قال: فإن بعد جميع ما وصفت لكم، لأسمع نغمة المرأة فأظن مرة أن كبدي قد ذابت ، وأظن مرة أنها قد انصدعت ، وأظن مرة أن عقلي قد اختلس ، وربما اضطرب

فؤادي عند ضحك إحداهن، حتى أظن أنه قد خرج من فمي، فكيف ألوم عليهن غيرى ؟!

تحية إلى "ابتهال ابو السعد"

عندما كتبت قبل بضع سنوات عن السيدة "ريما خلف" الأردنية، التي استقالت من منصبها كأمينة تنفيذية للمجموعة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (الإسكوا ESCWA (التي تتبع ل-هيئة الأمم المتحدة، بعد رفض التقرير الذي قدمته المجموعة، والذي كان يثبت بأدلته الدامغة ممارسة إسرائيل للأبارتايد، أو التمييز العنصري، والهيمنة العرقية التي تمارسها إسرائيل على الفلسطينيين، والذي كان في توصياته إعادة إحياء لجنة الأمم المتحدة الخاصة بمناهضة الفصل العنصري، ومركز الأمم المتحدة لمناهضة الفصل العنصري اللذين توقف عملهما عام ١٩٩٤، عندما اعتقد العالم أنه تخلص من الفصل

العنصري البغيض بسقوط نظام الأبارتايد في جنوب أفريقيا، وذكرت ان سيادتها قد ألقمت الأمم المتحدة وأمينها العام، الذين لا يتوقع منهم رد فعل سوى القلق، أو الانزعاج في كل القضايا والأزمات العربية، ألقمتهم حجرا باستقالتها من منصبها، وان سيادتها قد أهالت بذلك شيئا من التراب على خيالات المآتة من أنظمتنا العربية، ودخلت التاريخ من أوسع أبوابه..عندما كتبت ذلك المقال وقتها، توقعت نماذج مشابهة لذات المسلك من شرفاء الامة وذوي الضمير اليقظ، والمبادئ الراسخة، وها هي بالفعل "ابتهال ابو السعد" من المغرب الحبيب، ترفع ذات الراية وذات الحجر، وتلقم شركة مايكروسوفت العالمية ايضا حجرا في افواههم، وتهيل ذات التراب على خيالات المآتة من انظمتنا العربية.

" ابتهال ابو السعد" هي مهندسة ومبرمجة مغربية، تخرجت في جامعة هارفارد الأميركية، وتخصصت في الذكاء الاصطناعي،

وعملت لدى شركة مايكروسوفت العالمية في عام ٢٠٢٢ في قسم الذكاء الاصطناعي، كما عينت أيضا ضمن فريق يعمل على تطوير تقنيات متقدمة ومنتجات للشركة، مثل برنامج الخدمات السحابية "مايكروسوفت أزور (Microsoft Azure). "وعملت "ابتهال" أيضا ضمن الفريق الذي كلفته مايكروسوفت بتطوير تقنيات تستخدم في مجالات مثل المراقبة والتحليل البياني.

وفي الذكرى الخمسين لتأسيس شركة مايكروسوفت كما تابع الراي العام مؤخرا في الأيام الماضية صدعت " ابتهال " بكلمة الحق ، ولم تخشى لومة لائم ، واحتجت بصوت عال، اجبر العالم كله على احترامها ، وتقدير موقفها البطولي، في وقت تخاذل فيه الكثير من أبناء الامة عن نصرة فلسطين ومساندة الغزاويين، وهم يقدمون أروع البطولات، وأعز التضحيات ،ليس معهم الا الله رب العالمين، امام صلف وبطش إسرائيل والولايات المتحدة، وتجاهل وتعامي الدول العربية والاسلامية، احتجت

امام مديرها التنفيذي لقطاع الذكاء الاصطناعي "مصطفى سليمان" (وهو بريطاني من أصل سوري، لا ندري لم هبط لهذا الدرك، ولم تتحرك فيه النخوة العربية، مثلما تحرك الغضب العربي في عروق "ابتهال ابو السعد" !) على تواطؤ الشركة وتعاونها الكامل مع الاحتلال الإسرائيلي عن طريق تسخير أدوات الذكاء الاصطناعي الخاصة بها لخدمة إسرائيل، وقالت في كلمات صلبة وقوية:

عار عليك يا مصطفى أنت تزعم أنك تهتم باستخدام الذكاء الاصطناعي للخير، لكن مايكروسوفت تبيع أسلحة الذكاء الاصطناعي إلى الجيش الإسرائيلي، خمسين ألف شخص ماتوا، ومايكروسوفت تدعم هذه الإبادة الجماعية في منطقتنا !

وفي رسالة ايضا بعثت بها "ابتهال" الى اصدقائها، ذكرت حجم التعامل الذي كانت تقدمه الشركة ل-إسرائيل قالت: أعمل مهندسة برمجيات في قسم منصة الذكاء الاصطناعي بشركة مايكروسوفت منذ ٣,٥

سنوات. وتحدثت اليوم، لأنني اكتشفت أن قسمي يمكن الإبادة الجماعية لشعبي في فلسطين، لم أجد خيارا أخلاقيا آخر، خاصة بعد أن رأيت كيف تحاول مايكروسوفت قمع أي معارضة من زملائي الذين حاولوا تسليط الضوء على هذه القضية. على مدى العام ونصف الماضي، تم إسكات وتخويف ومضايقة مجتمعنا العربي والفلسطيني والإسلامي في مايكروسوفت، دون أي محاسبة محاولاتنا للتعبير عن رأينا، قوبلت إما بالصمم أو بفصل موظفين لمجرد إقامة وقفة صمت. لم يكن هناك طريق آخر لجعل أصواتنا مسموعة عندما انتقلت إلى قسم منصة الذكاء الاصطناعي، كنت متحمسة للمساهمة في تقنيات الذكاء الاصطناعي المتطورة وتطبيقاتها لصالح البشرية..لم أخبر أن مايكروسوفت سوف تبيع عملي للجيش والحكومة الإسرائيلية، بغرض التجسس وقتل الصحفيين والأطباء وعمال الإغاثة وعائلات مدنية بأكملها، لو علمت أن عملي في تحويل المحادثات الصوتية سوف يستخدم

للتجسس على الفلسطينيين واستهدافهم، لما انضممت إلى هذه الشركة وساهمت في الإبادة الجماعية، لم أوقع لكتابة أكواد تنتهك حقوق الإنسان.. قد يلاحقونني بسبب ما قلته، لكن خوفي من الانتقام لا يقارن حتى بخوفي من المساهمة في التقنيات المستخدمة لقصف الأبرياء.. بالنسبة لي، أعظم مخاوفي هو أن أستيقظ في يوم عمل عادي لأكتشف أن الشيفرة التي كتبتها ربما لعبت دورا في قتل أطفال. هذه هي الفكرة المزعجة التي استحوذت علي أكثر من أي شيء آخر. لهذا السبب تحدثت بصراحة، مدركة تماما أن العواقب قد تكون، وخوفي من المساهمة في الإبادة الجماعية في غزة أكبر بكثير.. ما يقلقني حقا هو تواطؤ مايكروسوفت في هذه الإبادة الجماعية. بصراحة، لا شيء يتجاوز هذا الخط الأحمر بوضوح أكبر.. إن معرفة أن شفرتنا تستخدم في القصف والمراقبة واستهداف المدنيين، هو ما يبقيني مستيقظا في الليل أكثر من

أي عواقب شخصية قد أواجهها بسبب اتخاذ موقف.

لا املك ازاء كل ما قالته "ابتهال أبو السعد" وما قامت به من دور بطولي امام شركة ميكروسوفت، التي تعتبر شريكا أولا فيما يلاقيه الاهل في فلسطين من صنوف الموت والتقتيل والابادة الجماعية المفزعة، والتهجير القسري والنزوح، لا أملك إلا ان نقدم لها التحية والتمجيد، ونثمن لها هذا الموقف البطولي الرائع، والذي نتمنى ان تتبعه صحوات كثيرة للضمير الإنساني في مختلف بقاع الأرض أمام بربرية وهمجية الولايات المتحدة وإسرائيل. مرة أخرى التحية ل-"ابتهال أبو السعد"، ولكل المناضلين والداعمين لقضية المسلمين الأولى.

القصيدة التي قتلت قائلها

لا يعدم الانسان المبدع والناجح في مسيرته وحياته، من افراد يتمنون له الفشل أو السقوط أو ربما الموت! وهذا بطبيعة الحال يكون من نفوس شريرة ونتيجة دوافع واختلالات نفسية، مثل دوافع الحسد أو البغض أو الطمع، أو حب الذات! ومن أجل هذا فانهم يسعون لتفريغ هذه الشحنات النفسية حتى وان كان نتيجة ذلك ازهاق تلك الشخصيات البريئة والناجحة والمتميزة والمبدعة!

قصة القصيدة التي سأتحدث عنها بعد أن سئمنا اخبار الحروب، ونفاق ومداهنة السياسيين في الوقت الراهن، هي نموذج لهؤلاء المبدعين الذين كانت اقدارهم الموجعة (وقدرنا أيضا) أن تغتالهم

النفوس الشريرة، قبل ان يصل الينا الكثير من نتاجهم واشعارهم المتفردة والبديعة !

وقصتها كما قدم لها العلامة "عبد العزيز الميمني": ان ملكة اليمن آلت على نفسها ان لا تتزوج الا بمن يقهرها بالفصاحة والبلاغة ويذلها في الميدان، فلم يتفق ذلك لأحد مدة طويلة، فسمع بها بعض الشجعان البلغاء، وجاء يطلب محلها، فمر ببعض احياء العرب، فأضافه كبير الحي وسأله عن حاله فأخبره بما هو فيه، واطلعه على القصيدة المذكورة، وكان ممن خطب المرأة سابقا، فحمله الطمع ان رضخ رأس الرجل بحجر الى ان مات، واخذ القصيدة المذكورة واضافها لنفسه، وذهب إلى المرأة ليخطبها وذكر أنه كفؤ لها فقالت: من اي الديار أنت؟ قال: من العراق .

فلما اطلعت على القصيدة، رأت فيها بيتا يدل على ان قائلها من تهامة، فصرخت بقومها وقالت: الزموا هذا فانه قاتل

بعلي، فأخذوه وعذبوه، فأقر بما فعل، فرجعوا اليها به، فأمرت بقتله فقتلوه وآلت على نفسها ان لا تتزوج بأحد بعده، كرامة لهذه القصيدة.

وقبل ان نطالع نص القصيدة التي عزيت إلى سبعة عشر شاعرا كل منهم قد ادعاها لنفسه وهو يكذب في دعواه، ينبغي ان نشير إلى ان قصتها جاءت بشكل مختلف عند "جرجي زيدان"، فقد ذكر في قصتها :

ان فتاة من بنات امير من امراء نجد بارعة الجمال اسمها "دعد "، كانت شاعرة بليغة، وفيها انفة، فخطبها الى ابيها جماعة كبيرة من كبار الامراء وهي تأبى الزواج الا برجل اشعر منها، فاستحث الشعراء قرائحهم ونظموا القصائد فلم يعجبها شيء مما نظموه، وشاع خبرها في انحاء جزيرة العرب وتحدثوا بها، وكان في تهامة شاعر بليغ حدثته نفسه أن ينظم قصيدة في سبيل تلك الشاعرة، فنظم تلك القصيدة، وركب ناقته وشخص إلى نجد، فالتقى في طريقه بشاعر شاخص اليها لنفس السبب وقد نظم

قصيدة في "دعد"، فلما اجتمعا باح التهامي لصاحبه بغرضه وقرأ له قصيدته، فرأى ان قصيدة التهامي اعلى طبقة من قصيدته وأنه اذا جاء بها إلى" دعد" اجابته إلى خطبته، فوسوس له الشيطان ان يقتل صاحبه، وينتحل قصيدته فقتله، وحمل القصيدة حتى أتى نجد، ونزل على ذلك الأمير واخبره بما حمله على المجيء، فدعا الامير ابنته ، فجلست بحيث تسمع وترى، واخذ الشاعر ينشد القصيدة بصوت عال على جاري عادتهم، فادركت " دعد " من لهجته أنه ليس تهاميا، ولكنها سمعت في أثناء انشاده ابياتا تدل على ان ناظمها من تهامة، فعلمت بنباهتها وفراستها ان الرجل قتل صاحب القصيدة وانتحل قصيدته، فصاحت بأبيها : اقتلوا هذا الرجل انه قاتل بعلي. فقبضوا عليه واستنطقوه فاعترف..

مهما يكن من أمر ورغم اختلاف سرد الروايتين اللتين يؤكد رواة الشعر انهما موضوعتان، فمن المؤكد أن قائلها والذي

اختلف الرواة أيضا في اسمه ولم يتفقوا عليه! وهذا من شأنه ان يجعل القصيدة أكثر ألقا وسحرا، فقد ذكر "الألوسي" في كتابه (بلوغ الأرب) واحدا وعشرين بيتا من هذه القصيدة وقال : "وفي الشعر الجاهلي كثير من اوصاف النساء المحمودة من ذلك قول بعضهم من قصيدة..." لكنه لم يذكر اسم القصيدة، ونسبها الى احد الشعراء الجاهليين، وقال آخرون انها من غفل شعر ذي الرمة، مع ان ذا الرمة شبب طول حياته ب-"مي بنت عاصم" وليست "دعد" المذكورة في القصيدة، وقال الاخفش :هي القصيدة اليتيمة ولم يذكر اسم قائلها، اما ابو العباس المبرد فقد قال: هي القصيدة التي لا يعرف قائلها وهي اليتيمة وهذا هو الاقرب الى الصواب كما ذكر المحققون..من المؤكد ان قائلها قد ترك شعرا بديعا وأثرا خالدا باقيا. النص يقول فيه :

هل بالطلول لسائل رد

أم هل لها بتكلم عهد

أبلى الجديد جديد معهدها
فكأنما هو ريطة جرد
من طول ما تبكي الغيوم على
عرصاتها ويقهقه الرعد
وتلث سارية وغادية
ويكر نحس خلفه سعد
تلقى شآمية يمانية
لهما بمور ترابها سرد
فكست بواطنها ظواهرها
نورا كأن زهاءه برد
يغدو فيسدي نسجه حدب
واهي العرى وينيره عهد
فوقفت أسألها وليس بها
إلا المها ونقانق ربد
ومكدم في عانة جزأت
حتى يهيج شأوها الورد
فتناثرت درر الشؤون على

خدى كما يتناثر العقد

أو نضح عزلاء الشعيب وقد

راح العسيف بملئها يعدو

لهفي على دعد وما حفلت

إلا بحر تلهفي دعد

بيضاء قد لبس الأديم أديم

الحسن فهو لجلدها جلد

ويزين فوديها إذا حسرت

ضافي الغدائر فاحم جعد

فالوجه مثل الصبح مبيض

والشعر مثل الليل مسود

ضدان لما استجمعا حسنا

والضد يظهر حسنه الضد

وجبينها صلت وحاجبها

شخط المخط أزج ممتد

وكأنها وسنى إذا نظرت

أو مدنف لما يفق بعد

بفتور عين ما بها رمد

وبها تداوى الأعين الرمد

وتريك عرنينا به شمم

وتريك خدا لونه الورد

وتجيل مسواك الأراك على

رتل كأن رضابه الشهد

والجيد منها جيد جازئة

تعطو إذا ما طالها المرد

وكأنما سقيت ترائبها

والنحر ماء الحسن إذ تبدو

وامتد من أعضادها قصب

فعم زهته مرافق درد

ولها بنان لو أردت له

عقدا بكفك أمكن العقد

والمعصمان فما يرى لهما

من نعمة وبضاضة زند

والبطن مطوي كما طويت

بيض الرياط يصونها الملد

وبخصرها هيف يزينه

فإذا تنوء يكاد ينقد

والتف فخذاها وفوقهما

كفل كدعص الرمل مشتد

فنهوضها مثنى إذا نهضت

من ثقله وقعودها فرد

والساق خرعبة منعمة

عبلت فطوق الحجل منسد

والكعب أدرم لا يبين له

حجم وليس لرأسه حد

ومشت على قدمين خصرتا

والينتا فتكامل القد

إن لم يكن وصل لديك لنا

يشفى الصبابة فليكن وعد

قد كان أورق وصلكم زمنا

فذوى الوصال وأورق الصد

لله أشواقي إذا نزحت

دار بنا ونوى بكم تعدو

إن تتهمي فتهامة وطني

أو تنجدي يكن الهوى نجد

وزعمت أنك تضمرين لنا

ودا فهلا ينفع الود

وإذا المحب شكا الصدود فلم

يعطف عليه فقتله عمد

تختصها بالحب وهي على

ما لا نحب فهكذا الوجد

أو ما ترى طمري بينهما

رجل ألح بهزله الجد

فالسيف يقطع وهو ذو صدأ

والنصل يفري الهام لا الغمد

هل تنفعن السيف حليته

يوم الجلاد إذا نبا الحد

ولقد علمت بأنني رجل

في الصالحات أروح أو أغدو

برد على الأدنى ومرحمة

وعلى الحوادث مارن جلد

منع المطامع أن تثلمني

أني لمعولها صفا صلد

فأظل حرا من مذلتها

والحر حين يطيعها عبد

آليت أمدح مقرفا أبدا

يبقى المديح ويذهب الرفد

هيهات يأبى ذاك لي سلف

خمدوا ولم يخمد لهم مجد

والجد حارث والبنون هم

فزكا البنون وأنجب الجد

ولئن قفوت حميد فعلهم

بذميم فعلي إنني وغد

أجمل إذا طالبت في طلب

فالجد يغني عنك لا الجد

وإذا صبرت لجهد نازلة

فكأنه ما مسك الجهد

وطريد ليل قاده سغب

وهنا إلي وساقه برد

أوسعت جهد بشاشة وقرى

وعلى الكريم لضيفه الجهد

فتصرم المشتي ومنزله

رحب لدي وعيشه رغد

ثم انثنى ورداوه نعم

أسديتها وردائي الحمد

ليكن لديك لسائل فرج

إن لم يكن فليحسن الرد

يا ليت شعري بعد ذلكم

ومحار كل مؤمل لحد

أصريع كلم أم صريع ردى

أودى فليس من الردى بد

ذو الرمة ومنزلتي مي

سأذهب اليوم بعيدا الى الصحاري والاطلال والقفار، إلى ذي الرمة "غيلان بن عقبة " تحديدا، هربا من الواقع الراهن الذي تكثر فيه اخبار الحروب والدماء وكآبة المنظر، وطلبا للتغيير والترويح والتجديد، لأسمع شيئا من قصائد ذي الرمة البديعة، وهو يصف "مي بنت عاصم"، التي تشبب بها على مدى أكثر من عشرين عاما، وجاء شعره فيها من كل وجه ومكان.

قالت أمة لأم مي: كنا نازلين باسافل الدهناء ورهط ذي الرمة مجاورون لنا ،فجلست "مية" تغسل ثيابا لها ولأمها في بيت رث فيه خروق وهي فتاة احسن من رأيته، فلما فرغت لبست ثيابها وجلست عند امها، واقبل ذو الرمة ينشد ضالة فدخل وجلس ساعة ثم خرج، فقالت "مية": إني لأرى ان

هذا العذري قد رآني منكشفة واطلع علي من حيث لا اشعر، فان بني عذرة أخبث قوم في الأرض، فاذهبي فقصي أثره، فقالت: قصصت أثره فوجدته قد تردد اكثر من ثلاثين مرة، كل ذلك يدنو فيطلع عليها ثم يرجع على عقبه ثم يعود، فأخبرتها بذلك، ثم لم ينشب ان جاءنا شعره فيها من كل وجه ومكان.

وذو الرمة " غيلان بن عقبة " الذي عاش بين أواسط عهد الخليفة "عبد الملك بن مروان" وأواخر عهد الخليفة "هشام بن عبد الملك"، تميز بالجزالة وقوة اللفظ، ومتانة الاشعار وجودة السبك، حتى قال عنه " ابن جرير" أن ذا الرمة بعد قصيدته ما بال عينك منها الماء ينسكب، لو خرس بعدها لكان اشعر الناس، فقد كان ماهرا متقنا في الوصف، جمع ثلث لغة العرب في شعره!

ووصف "مي بنت عاصم المنقري" وصفا بديعا في أكثر شعره، أظن أن ما نالته "ميا" لم تنله امرأة قبلها، أو وصف به شاعر من

شعراء العرب مثلما وصف به ذو الرمة، فقد جاء شعره فيها بموهبته الفذة وقدرته المتميزة، واختلف رواة الشعر في شخصية "مي" التي شغل بها ذو الرمة المجالس، فمنهم من ذهب إلى أنها هي "الخرقاء" نفسها التي قال ذو الرمة فيها :

تصابيت واستعبرت حتى تناولت

لحي القوم أطراف الدموع الذوارف

وقوفا على مطموسة قطعت بها

نوى الصيف أقران الجميع الأوالف

قلائص لا تنفك تدمى أنوفها

على طلل من عهد خرقاء شاعف

كما كنت تلقى قبل في كل منزل

عهدت به ميا فتي وشارف

ولكن في الوقت ذاته فان آخرين يعتقدون أن "الخرقاء" هي شخصية حقيقية، وهي امرأة من بني البكاء بن عامر بن صعصعة، وقيل في روايات أنها كانت كحالة داوت عينه فشبب به، وأنها كانت تفخر فخرا

كبيرا بان ذا الرمة جعلها منسكا من مناسك الحج حين يقول :

تمام الحج أن تقف المطايا

على خرقاء واضعة اللثام

ومن رواة الشعر من ذهب إلي أن "الخرقاء" هي شخصية خيالية، أو رمز سمى به ذو الرمة "ميا"، وترك ذكرها في شعره لكي يغيظها ويكيد لها !..مهما يكن الأمر، سواء كانت "الخرقاء" هي "مي" نفسها كما يميل إلي ذلك رواة الشعر، أو كانت هي "الخرقاء" البكائية، فان ذلك لا ينقص شيئا من الإبداع الوافر الذي تركه ذو الرمة في الشعر العربي، والذي يصف فيه ميا المنقارية أو الخرقاء البكائية، والذي يتميز بجزالة اللفظ وقوة الوصف وعمق الفيلسوف، ومن شعره البديع الذي جمع بين العاطفة والوصف:

أمنزلتي مي سلام عليكما

هل الأزمن اللائي مضين رواجع

وهل يرجع التسليم أو يكشف العمى

ثلاث الأثافي والرسوم البلاقع

توهمتها يوما فقلت لصاحبي

وليس بها إلا الظباء الخواضع

وموشية سحم الصياصي كأنها

مجللة حو عليها البراقع

حرونية الأنساب أو أعوجية

عليها من القهز الملاء النواصع

تجوبن منها عن خدود وشمرت

أسافلها من حيث كان المذارع

قف العيس ننظر نظرة في ديارها

فهل ذاك من داء الصبابة نافع

فقال أما تغشى لمية منزلا

من الأرض إلا قلت هل أنت رابع

وقل إلى أطلال مي تحية

تحيى بها أو أن ترش المدامع

ألا أيها القلب الذي برحت به

منازل مي والعران الشواسع

أفي كل أطلال لها منك حنة

كما حن مقرون الوظيفين نازع

ولا برء من مي وقد حيل دونها

فما أنت فيما بين هاتين صانع

أمستوجب أجر الصبور فكاظم

على الوجد أم مبدي الضمير فجازع

لعمرك إني يوم جرعاء مشرف

لشوقي لمنقاد الجنيبة تابع

غداة امترت ماء العيون ونغصت

لبانا من الحاج الخدور الروافع

ظعائن يحللن الفلاة وتارة

محاضر عذب لم تخضه الضفادع

تذكرن ماء عجمة الرمل دونه

فهن إلى نحو الجنوب صواقع

تصيفن حتى أوجف البارح السفا

ونشت جراميز اللوى والمصانع

يسفن الخزامى بين ميثاء سهلة

وبين براق واجهتها الأجارع

بها العين والآرام فوضى كأنها

ذبال تذكى أو نجوم طوالع

غدون فأحسن الوداع ولم تقل

كما قلن إلا أن تشير الأصابع

وأخذ الهوى فوق الحلاقيم مخرس

لنا أن نحيي أو نسلم مانع

وقد كنت أبكي والنوى مطمئنة

بنا وبكم من علم ما البين صانع

وأشفق من هجرانكم وتشفني

مخافة وشك البين والشمل جامع

وأهجركم هجر البغيض وحبكم

على كبدي منه شؤون صوادع

وأعمد للأرض التي لا اريدها

لترجعني يوما إليك الرواجع

فلما عرفنا آية البين بغتة

وهذ النوى بين الخليطين قاطع

لحقنا فراجعنا الحمول وإنما
يتلي ذبابات الوداع المراجع
على شمريات مراسيل واسقت
مواخيد هن المعنقات الذوارع
فلما تلاحقنا ولا مثل ما بنا
من الوجد لا تنقض منه الأضالع
تخللن أبواب الخدور بأعين
غرابيب والألوان بيض نواصع
وخالسن تبسما إلينا كأنما
تصيب به حب القلوب القوارع
ودو ككف المشتري غير أنه
بساط لأخفاف المراسيل واسع
قطعت وليلي غائب الضوء جوزه
وأكنافه الأخرى على الأرض واضع
فأصبحت أرمي كل شبح وحائل
كأني مسوي قسمة الأرض صادع
كما نفض الأشباح بالطرف غدوة

من الطير أقنى أشهل العين واقع
ثنته عن الأقناص يوما وليلة
أهاضيب حتى أقلعت وهو جائع
ورعن يقد الآل قدا بخطمه
إذا غرقت فيه القفاف الخواشع
ترى الريعة القوداء منه كأنها
مناد بأعلى صوته القوم لامع
فلاة رجوع الكدر أطلاؤها بها
من الماء تأويب وهن روابع
جدعت بأنقاض حراجيج أنفه
إذا الرئم أضحى وهو عرقا مضاجع
غريرية الأنساب أو شدقمية
عتاق الذفارى وسج ومموالع
طوى النحز والأجزاز ما في غروضها
فما بقيت إلا الصدور الجراشع
لأحناء ألحيها بكل مفازة
إذا قلقت أغراضهن القعاقع

عن الشاعر الذي يحترم المرأة

رغم أنه عاش في الصحراء منبوذا من مجتمعه، ورغم أنه من الذين اوغلوا وأمعنوا في القتل وفاقوا في ذلك حد المعقول، إلا أن هناك جوانب إنسانية صادقة في حياة شاعرنا، لا يمكن ان ننكرها أو نغض الطرف عنها، فقد صور المرأة العربية صورا مشرقة كريمة أبية، اضافة لقوة إرادته واعتزازه بنفسه، وبالثقة الكاملة التي ميزته عن الكثيرين .

ينصرف البعض في وصف جمال المرأة الخلقي بأكمله، وما تقع عينه عليه، فيبدع في ذلك شيئا كبيرا، من قمة رأسها إلى أخمص قدميها! وهؤلاء هم القسم الأكبر، مع هذا فإن هناك من يهتم اهتماما آخر، ليس إلى جمال الخلقة فحسب، بل جل اهتمامهم بالصفات الخلقية المثالية والفاضلة

للمرأة.. سأتحدث اليوم عن واحد منهم، وهو الشنفرى "ثابت بن أوس"، وهو واحد من الشعراء الجاهليين الصعاليك، الذين منهم "تأبط شرا" و"عروة بن الورد" و"السليك بن السلكة" و"لا بواكي له" و"أسيد بن جابر"، و"قيس بن الحدادية"، وربما يكون "الشنفرى" أشهرهم .

أول ما يقفز إلى ذهني هو تائيته المشهورة، والتي قدمنا أنه واحد ممن خالف ما يهتم به عامة الشعراء، وتائيته يختص فيها المرأة، وهي هنا "أميمة" زوجه، بالصفات المثلى، ويصفها وصفا بليغا يتسم بالجزالة والقوة، وهذا هو مكمن إعجابي بها، وربما سائر الناس.

من بعض وصفه، أنها لا تسرع المشي والخطى فيسقط قناعها، مثلما تسقط أقنعة الاخريات، ولا تكثر التلفت لأنه من فعل أهل الريبة، وأميمته المصونة لا تطيل الكلام في الطريق، فهي إذا مشت عيناها تنظران إلى الأرض، كأنها أضاعت شيئا، لشدة حرصها، وإذا تكلمت فإنها لا تطيل الكلام،

وهذه هي قمة الحياء المفترض أن يتوفر في كل امرأة، وبعد هذا كله فإنها إذا ذكر خبر النساء، فإنه لا يخزي" الشنفرى" الحديث عنها ، وذلك لخفرها وعفتها ، وهذه أيضا صفات جيدة، إذا ضمت إلى ما قبلها ، فإننا أمام صورة متكاملة إلى ما ينبغي أن تكون عليه الاخلاق الكاملة للمرأة، ولا أجد في ذلك وصفا تستحقه هذه الأبيات أكثر مما وصفها " الأصمعي" الذي قال: إن هذه الابيات أحسن ما قيل في خفر النساء وعفتهن.

الابيات يقول فيها "الشنفرى" من البحر الطويل:

ألا أم عمرو أجمعت فاستقلت

وما ودعت جيرانها إذ تولت

وقد سبقتنا أم عمرو بأمرها

وكانت بأعناق المطي أظلت

بعيني ما أمست فباتت فأصبحت

فقضت أمورا فاستقلت فولت

فوا كبدا على أميمة بعدما

طمعت فهبها نعمة العيش زلت

فيا جارتي وأنت غير مليمة

إذ ذكرت ولا بذات تقلت

لقد أعجبتني لا سقوطا قناعها

إذا ما مشت ولا بذات تلفت

تبيت بعيد النوم تهدي غبوقها

لجارتها إذا الهدية قلت

تحل بمنجاة من اللوم بيتها

إذا ما بيوت بالمذمة حلت

كأن لها في الأرض نسيا تقصه

على أمها وإن تكلمك تبلت

أميمة لا يخزى نثاها حليلها

إذا ذكر النسوان عفت وجلت

إذا هو أمسى آب قرة عينه

مآب السعيد لم يسل أين ظلت

فدقت وجلت واسبكرت وأكملت

فلو جن إنسان من الحسن جنت

ومع اهتمام "الشنفرى" بالمعاني المثالية والمكارم في أبياته البليغة، التي ربما جعلته مختلفا عن عامة الشعراء الجاهليين الذين يبدؤون أشعارهم بالأطلال، وذكر المرأة وعيونها وجمال قوامها، إلا أنه مع هذا جمع كل الصفات الخلقية والخلقية أيضا في بيت واحد، وهو الشيء الذي يدعو أيضا للإعجاب والرضا الكبيرين، وهو قوله:

فدقت وجلت واسبكرت وأكملت

فلو جن إنسان من الحسن جنت

لأنه يعني أنها دق من أعضائها ما يستحب دقته وفخم ما يستحب فخامته، واعتدلت طولا وأكملت، وبهذا فقد استوفي كل صفاتها في صدر هذا البيت، أما عجزه فهو شأن آخر؛ لأنه يحتمل ثلاثة معان كلها صحيحة (كما يقول رواة الشعر)، الأول هو أنه لو ستر إنسان عن العيون صيانة له عن الابتذال لفعل ب-"أميمة"، والمعنى الثاني أنه يريد لو جن إنسان تفكرا فيما تفرد به من

الجمال لكانت "أميمة"، والمعنى الثالث أنه لو أخرج من البشرية إنسان، ونسب إلى الجن لما منح من الحسن، لكانت "أميمة!"

هذه النهاية الموجعة !

قبل ان اكتب هذا المقال وافرغ منه، فجعنا وفجع الشعب السوداني كله، بل كل ذي ضمير حي، بتلك الحادثة الدموية المحزنة، التي قام بها افراد ميليشيات الدعم السريع الإرهابية في ناحية مدينة الصالحة ب-امدرمان، والتي كان من قدر الله، ان يلاقي نحو ثلاثين فردا من المواطنين الأبرياء العزل مصرعهم، على يد الارهابيين الهمج البرابرة، والذين نسأل الله العلي القدير، أن يمكن قواتنا المسلحة وجيشنا الباسل والقوات المشتركة من رقابهم، وأن يطهر بلادنا من رجسهم، وأن ينعم علينا بنصر كامل شامل، وأن يحفظ وينصر المسلمين في كل مكان، وان يتقبل شهداءنا، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

من الأشياء المحزنة التي يمكن ان تواجه بعض المبدعين، هي ان يعيش المبدعون بين اقوام لا يقدرون فنهم وابداعهم! ولا يحفلون بهم، ولا يغتنموا وجودهم ليغترفوا من فيض فنهم وحكمتهم، وهذا هو الاحرى والاوجب (في تقديري) لكن اسواء من ذلك هو ان يلاقي هؤلاء المبدعين نهاية محزنة وموجعة، وان يكونوا ضحايا للجهل والاساطير والخرافات التي تسيطر على ادمغة الطغاة والمستبدين! وهذا ما حدث بالفعل ل-شاعرنا "عبيد بن الابرص" الذي عده "ابن سلام" من فحول الشعراء الجاهليين في الطبقة الرابعة، وذكره بعد "طرفة بن العبد" وقرن بهما.

كان "عبيد بن الابرص" من الشعراء المميزين برجاحة العقل وحصافة الراي، وحسن تدبير الامور ومعالجتها، وقد عاش مع قومه بني سعد زهاء المائتين سنة وعشرين سنة (وهذا هو عمر "عبيد بن الابرص" كما ذكر في احدى قصائده، خلافا للروايات التي تقول إنه عمر ثلاثمائة سنة) يفرح لفرحهم

ويبكي لبكائهم، ويدفع معهم الغارات التي تقوم بها القبائل الاخرى عليهم، وبعد ان اهلكت الحروب معظم قومه وافراد عشيرته جراء الحروب مع الغساسنة قال فيهم :

لمن طلل لم يعف منه المذانب
فجنبا حبر قد تعفى فواهب
ديار بني سعد بن ثعلبة الأولى
أذاع بهم دهر على الناس رائب
فأذهبهم ما أذهب الناس قبلهم
ضراس الحروب والمنايا العواقب
ألا رب حي قد رأينا هنالكم
لهم سلف تزور منه المقانب
فأقبل على أفواق مالك إنما
تكلفت مل أشياء ما هو ذاهب

ومع ان شاعرنا ذكر قومه بأصدق ابيات الشعر، مذكرا بماضيهم العريق وامجادهم وقوتهم، فقد لقي هو نفسه مصيرا شنيعا ونهاية موجعة، علي يد اسواء الطغاة، وهو

"المنذر ابن ماء السماء"، الذي اختلطت عنده الحقائق بالأساطير والجهل بالخرافات، فقد كان له نديمين من بني اسد (كما تذكر الروايات) واغضباه ذات مرة في بعض المنطق، فأمر "المنذر" بأن يحفر لكل منهما حفيرة في الحيرة، ثم يجعل نديميه في تابوتين ويدفنا في الحفيرتين، ففعل بهما ذلك كما امر. وعندما أصبح سأل عنهما فأخبر بهلاكهما وموتهما، فندم على ذلك اشد الندم، وغمه غما شديدا، ثم ركب حتى نظر اليهما، فأمر عند ذلك ببناء الغريين، وهما بناءان مطليان على الضريحين، وجعل "المنذر" لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما عند الغريين، أحدهما يوم نعيم والاخر يوم بؤس! فأول من يطلع عليه في يوم نعيمه فانه يعطيه مائة من الإبل، واول من يطلع عليه يوم بؤسه يعطيه رأس ظربان أسود، ثم يأمر به فيذبح ويغرى بدمه الغريان! واستمر هذا الحال الغريب المفزع لفترة من الزمن، وكان من قدر "عبيد بن الابرص"

انه كان اول من أشرف عليه يوم بؤسه! فقال: هلا كان الذبح لغيرك يا "عبيد"؟ فقال: أتتك بحائن رجلاه فأرسلها مثلا، وهو مثل يضرب لمن حان أجله ولمن يسعى الى المكروه حتى يقع فيه.

فقال المنذر: أو أجل بلغ أناه. ثم قال له: أنشدني، فقد كان شعرك يعجبني، فقال: حال الجريض دون القريض، وبلغ الحزام الطبيين، فأرسلها مثلا. فقال له اخر: ما اشد جزعك من الموت! فقال: لا يرحل رحلك من ليس معك، فأرسلها مثلا. فقال له المنذر: قد أمللتني فأرحني قبل ان آمر بك! فقال عبيد: من عز بز، فأرسلها مثلا. فقال المنذر: أنشدني قولك: "اقفر من أهله ملحوب "فقال:

أقفر من أهله عبيد

فليس يبدي ولا يعيد

عنت له عنة نكود

وحان منه لها ورود

فقال له المنذر: يا عبيد ويحك أنشدني قبل ان اذبحك. فقال عبيد:

والله ان مت ما ضرني

وان أعش ما عشت في واحده

فقال المنذر: انه لابد من الموت، ولو ان النعمان (أي ابنه) عرض لي في يوم بؤس لذبحته، فاختر ان شئت الأكحل وان شئت الأبجل وان شئت الوريد، فقال عبيد: ثلاث خصال كسحابات عاد، واردها شر وارد وحاديها شر حاد، ومعادها شر معاد، ولا خير فيها لمرتاد، وان كنت لا محالة قاتلي فاسقني الخمر، حتى إذا ماتت مفاصلي وذهلت ذواهلي فشأنك وما تريد. فأمر المنذر بحاجته من الخمر، حتى إذا اخذت منه وطابت نفسه، دعا به المنذر ليقتله، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول:

وخيرني ذو البؤس في يوم بؤسه

خصالا أرى في كلها الموت قد برق

كما خيرت عاد من الدهر مرة

سحائب ما فيها لذي خيرة أنق
سحائب ريح لم توكل ببلدة
فتتركها الا كما ليلة الطلق

فأمر به المنذر ففصد ونزف دما، فلما مات طلي بدمه الغريان!

مقترب الخيانة في الدولة: الأسباب والدوافع والأثر

القائد الذكي (في تقديري) هو الذي يضع كل اعتبارات ومآلات الحرب في الحسبان، بل انه يكون متوقعا لكل الاحتمالات والفرضيات، كما يتوقع النصر فهو يتوقع الهزيمة، وكما يتوقع الإخلاص والاتقان، فهو يتوقع فرضية الخيانة والخذلان، وفي كل الأحوال ينطلق القائد الذكي من خطط محكمة تتميز بالمرونة، وتقبل التغيير والتعديل والتبديل، وفقا لمتطلبات ميدان الحرب ومتطلبات كافة السيناريوهات.

تعريف الخيانة:

الخيانة في اللغة: خون: ان يؤتمن الانسان فلا ينصح، خانه خونا وخيانة وخانة ومخانة، واختانه فهو خائن وخائنة وخوان،

والجمع: خانة وخونة وخوان، وقد خانه العهد والأمانة. [1]

وفي الاستعمال السياسي، يمكن القول ان الخيانة هي تغير نفسي وسلوكي كامل يطرأ على شخصية الفرد، نتيجة عدة عوامل ومسببات قد تكون ظاهرة وحديثة، أو مستترة ومتراكمة، وتكون محصلته اختلافا كاملا أو جزئيا عن الشخصية الأولى، التي كانت تتميز بالانتماء والشعور بالولاء الوطني.

تعريف الخيانة الوطنية:

الخيانة الوطنية تمثل أفعالا أو تصرفات تهدف إلى الإضرار بمصالح الدولة، سواء من خلال التعاون مع قوى خارجية، أو التحريض على الفوضى والاضطرابات الداخلية، وفي كثير من الأحيان، يتم تبرير هذه الأفعال تحت ذرائع سياسية، أو اجتماعية. [2]

وتعرف الخيانة في الدستور الامريكي: بانها شن حرب ضد الولايات المتحدة، أو

الانضمام الى اعدائها، أو تقديم العون والمساندة لهم.

وقد يأخذ معنى الخيانة أسماء عديدة، يجمع بينها السرية والعمل في الخفاء أو العلن ضد مصلحة الدولة، منها العملاء أو المتعاون أو الخونة أو الطابور الخامس.

تعريف الطابور الخامس:

الطابور الخامس (بالإنجليزية Fifth column): مصطلح متداول في أدبيات العلوم السياسية والاجتماعية، نشأ أثناء الحرب الأهلية الإسبانية التي نشبت عام ١٩٣٦ واستمرت ثلاث سنوات، وأول من أطلق هذا التعبير هو الجنرال "إميليو مولا" أحد قادة القوات الوطنية الزاحفة على مدريد، وكانت تتكون من أربعة طوابير من الثوار، فقال حينها إن هناك طابورا خامسا يعمل مع الوطنيين لجيش الجنرال "فرانكو" ضد الحكومة الجمهورية التي كانت ذات ميول ماركسية يسارية من داخل مدريد، ويقصد به مؤيدي "فرانكو" من الشعب، وبعدها ترسخ

هذا المعنى في الاعتماد على الجواسيس في الحرب الباردة بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي.

يصف مصطلح الطابور الخامس مجموعة من الناس تعمل غالبا على محاولة محاصرة المدينة من الداخل، وتكون إما في صالح جماعة العدو أو في الدولة. أنشطة الطابور الخامس قد تكون علنية أو سرية. وفي بعض الأحيان تقوم هذه القوات السرية بمحاولة حشد الناس علنا لمساعدة هجوم خارجي. ويمتد هذا المصطلح أيضا إلى الأنشطة التي ينظمها الأفراد العسكريين. ويمكن لأنشطة الطابور الخامس السرية أن تنطوي على أعمال تخريب وتضليل وتجسس ينفذها مؤيدو القوة الخارجية ضمن خطوط الدفاع بكل سرية. [3]

ظهور الطابور الخامس في ميدان المعركة مثير للقلق ليس بسبب أنه فرضية غير متوقعة أو محتملة الحدوث، لكن لصعوبة التنبؤ بأفراد الطابور الخامس أو عملياته، كما أنه يدخل في عداد الطابور

وقتيا وفي حالة اندلاع الحرب عناصر لا ترقى للشبهات على الإطلاق، وفي حالات عسيرة يكون الطابور الخامس أو الخلايا النائمة ليسوا أفرادا من داخل الدولة يمكن التعامل معهم ورصد تحركاتهم ونواياهم، لكن يكون بحجم دولة أخرى تزيد من لهيب الحرب المشتعلة بالوكالة، فتدعم قوات الطرف الآخر بالمال والأسلحة والذخائر وكافة انواع الدعم اللوجستي، وربما بأفراد من عتاة المرتزقة الذين يقاتلون في الحروب أشد القتال وباحتراف، ليس من أجل النصر والحاق الهزيمة النكراء بالطرف الآخر، لكن من أجل دراهم تسيل اللعاب هم في أمس الحاجة إليها.[4]

انحراف الفرد للخيانة وخيانة الدولة في حد ذاته، له عدة أسباب ودوافع يمكن ان نسجل منها الاتي:

أولا: القمع المتواصل من الانظمة الدكتاتورية:

يمثل القمع المتواصل والكبت وتضييق الحريات وعدم اتاحتها، وملاحقة ذوي الراي، الذين لديهم اراء تختلف عن الرأي العام الذي تتبناه السلطات الدكتاتورية، وتعذيب الافراد وسجنهم، ربما يمثل سببا في الميل الي العمل في الخفاء والسرية، والوقوع في الخيانة وتمثيل الطابور الخامس وقت نشوب الحرب.

ثانيا: التهميش المتعمد:

يمثل سلوك التهميش المتعمد الذي ربما تسلكه بعض الانظمة المستبدة عاملا من عوامل تكون بذور الخيانة والتمرد لاحقا، ومن الدوافع النفسية الكامنة وراء الخيانة الوطنية، لذا فان من متطلبات الحكم الرشيد هي العدل في كل الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ومحاربة الفساد الاداري، لان الظلم وعدم العدل يولد الغبن والشعور بالتهميش، الذي ربما يزداد يوما بعد يوم وعاما بعد عام.

ثالثا : انخفاض مستويات التعليم وازدياد معدلات الامية :

ان انخفاض مستويات التعليم وازدياد معدلات الامية، من شأنه ان يجعل البعض عرضة وفريسة سهلة للوقوع في ايدي أنظمة أخرى تناصب الدولة العداء، ومن ثم فانهم يصبحون خاما سهل التشكل وموجها ضد الدولة ذاتها، بعد اعدادهم اعدادا جديدا وبمفاهيم مغايرة.

رابعا : الجهل وارتفاع معدلات البطالة :

مع انعدام فرص العمل وازدياد معدلات البطالة والجهل، فإن بعض الافراد الذين يتطلعون إلى الثراء والمكاسب الشخصية المادية، وتكوين الثروة، أو تحقيق مكاسب تتعلق بالنفوذ والسلطة، فان خيانة الدولة ربما تكون هي الباب الموارب لتحقيق كل ذلك .

خامسا : العامل الاقتصادي:

تكثر الاضطرابات والخيانة في الدولة في اغلب الاحوال، نتيجة الفقر والمستويات

الاقتصادية المتدنية في الدولة، ويعتبر الفقر والأجور المتدنية سببا رئيسا في دفع بعض الافراد الذين تغلب عليهم الامية والجهل، في الوقوع في الخيانة الوطنية من اجل مكاسب واغراءات مالية .

سادسا: العوامل الدافعة الأيدلوجية:

تحت تأثير معتقدات وأفكار متطرفة تختلف وتتعارض مع المعتقد العام والايدولوجيا السائدة في الدولة، فان بعض المجموعات ربما تقع في خيانة الدولة، نتيجة تفضيلهم الايدولوجيا الخارجية على الولاء الوطني.

سابعا: الاستقطاب الخارجي:

يقع بعض الافراد، وربما بحجم أكبر مؤسسات أو أحزاب سياسية، تحت ضغط جهات خارجية، واستقطاب خارجي، يقدم لهم كافة التسهيلات المادية والعسكرية واللوجستية والإعلامية والمعنوية، للقيام بأعمال ضد إرادة الدولة وتوجهاتها القومية وأمنها،

وهو أيضا مما يقع في بند الخيانة والخيانة العظمى.

ثامنا: تكون الروح الانتقامية لدى الافراد:

يعتبر تكون الروح الانتقامية ومشاعر الاستياء والغضب لدى الافراد، سببا رئيسا في القيام بأعمال الخيانة ضد الدولة ومكوناتها، وفي اغلب الأحوال فان رد الفعل الانتقامي هو نتيجة الظلم الذي وقع عليهم من الدولة ذاتها، أو مجتمعاتهم، نتيجة المعاملة غير العادلة، أو اذلالهم، أو ما اعتقدوا انه ظلم صريح، أو في أحوال أخرى نتيجة الجهل المطبق.

تاسعا: اشباع وارضاء الذات:

بعض الافراد توجد لديهم تقديرات خاصة عن ذواتهم، وفي رغبتهم الجامحة للسيطرة وارضاء الذات، وعلى الأرجح هم يعانون من مشاكل واضطرابات نفسية، وفي رؤيتهم أن كل ما يقومون به من اعمال التعاون أو الخيانة هي اعمال صائبة، ولا يقومون إلا

بواجبهم المفترض، ويملأ هذا الشعور بالذات، فراغا نفسيا كبيرا لديهم، ويحقق ذواتهم المفقودة والضائعة .

عاشرا: شخصيات تبحث عن الاثارة والظهور الطاغي وتحب المغامرات :

وهي شخصيات ايضا تعاني من انحراف نفسي سلوكي، ولا تتردد في المشاركة في اعمال الخيانة ضد الدولة، وتجد في القيام بذلك سعادة ورضا كبيرين .

حادي عشر: الاضطرابات الشخصية:

يعاني بعض الافراد الذين يرتكبون اعمال الخيانة ضد الدولة، من اضطرابات شخصية وعلل نفسية، مثل الاكتئاب والقلق، والاحباط المستديم، وعدم الرضا، والحاجة المستديمة الى الاعجاب، والشعور بالعظمة والاهمية، والنرجسية، وعدم القدرة على تنظيم تقدير الذات، وبنفس المقدار المتكون داخلهم من هذا الشعور أو الانحراف النفسي، تكون اعمال الخيانة على

قدر قريب منها، لتحقيق التوازن لهذه النفسية المنحرفة المختلة .

ثاني عشر: وقوع الافراد تحت تأثير الضغوط الخارجية والابتزاز :

في بعض أسباب الخيانة ضد الدولة، قد تكون خيانة الأفراد نتيجة تأثير ضغوط خارجية، أو تعرضهم للابتزاز، ورغم أنهم ارتكبوا اعمال خيانة ضد الدولة، لكن ليست بدوافعهم الشخصية، انما تحت الإكراه والجبر والتهديد .

ثالث عشر: تنامي الولاء لدولة أو دول خارجية ذات غرض ومصالح وطموحات :

يعتبر الوصول للتعاطف والولاء لدولة أو دول خارجية على حساب مصالح وتوجهات الوطن، هو من أخطر انواع درجات الخيانة والخيانة العظمى، لأنه في هذه الحالة يعتبر قوة مستترة وسرية غير ظاهرة داخل الدولة، وتنفذ متطلبات الدولة العدو الخارجية، التي لها عدة مصالح واهداف

سياسية واقتصادية، تبتغي تحصيلها عبر الخونة والعملاء من داخل الدولة.

رابع عشر: الانقسامات المجتمعية العميقة والصراع الطبقي:

تؤثر الانقسامات المجتمعية والطبقية سلبا على النسيج المجتمعي في الدولة، ومع ازدياد حدة الانقسامات والصراعات المجتمعية، ومع غياب دور الدولة أو فشلها في تسكين وتهدئة هذه الصراعات الداخلية، من الطبيعي ان تكون قد ساهمت في وجود بيئة مهيئة للخيانة والتمرد، وربما التفكير في الانفصال لاحقا .

ان القائد الذكي هو الذي يضع كل اعتبارات الحرب في الحسبان، بل انه يكون متوقعا لكل الاحتمالات والفرضيات، كما يتوقع النصر فهو يتوقع الهزيمة، وكما يتوقع الإخلاص فهو يتوقع الخيانة والخذلان، وخيانة الدولة ضررها وأثرها أعظم من اشكال الخيانة الأخرى التي قد تؤثر على حيز صغير محدود، اما خيانة الدولة فيمتد

أثرها إلى حيز أكبر بحجم الدولة ويهدد أمنها ووجودها .

المصادر :

[1] _مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى، القاموس المحيط

[2] _د.لولوه البورشيد ، عندما تصبح خيانة الوطن جزءا من الصراع السياسي، موقع صحيفة السياسة ، ١٠مارس/اذار ٢٠٢٥، (تاريخ الدخول: ١٠ مايو/ايار ٢٠٢٥):

https://tinyurl.com/2akjv4nm

[3] _ انظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا ،الطابور الخامس، (تاريخ الدخول: ١٠ مايو /ايار ٢٠٢٥https://tinyurl.com/mr2k9sjr:)

[4] _التجاني صلاح عبد الله المبارك، الطابور الخامس: الاسباب والدور والأثر، مركز السياسة العالمية، ١٧سبتمبر/ايلول

٢٠٢٣، (تاريخ الدخول: ١٠ مايو/ايار ٢٠٢٥): https://tinyurl.com/5n97jz9s
يرجى استعمال برنامج لتخطي الحجب

المرتزقة في السودان: من أين أتى هؤلاء؟!

منذ أوائل التسعينات وبعد نهاية الحرب الباردة، اعتمدت الدول الفاعلة على استخدام الشركات العسكرية والأمنية الخاصة لتحقيق مصالحها وأهدافها الداخلية والخارجية من جهة، وتوفير وادخار قوتها الصلبة من جهة اخرى، ولم تسلم دول القارة الإفريقية من ذلك الاستخدام الجديد والطارئ، فشهدت حدودها دخول الشركات العسكرية والأمنية الخاصة كما في ليبيا والسودان والنيجر ومالي وإفريقيا الوسطى، كما تبع ذلك تدفقا كبيرا لنسخة أقل تطورا وهم جماعات وفئات المرتزقة من كل جنس ولون. ضربة لازب.

تعريف المرتزقة:

في اللغة العربية: ارتزق الجندي وغيره: أخذ رزقه، استرزقه: طلب منه الرزق. يقال: هم مرتزقة: أصحاب جرايات ورواتب مقدرة.

والجنود المرتزقة: هم الذين يحاربون في الجيش على سبيل الارتزاق، والغالب أن يكونوا من الغرباء. [1]

وفي الاستعمال السياسي والعسكري، يعرف المرتزق بأنه مقاتل غير شرعي، يتم استئجاره إلى مناطق النزاع المسلح، لتحقيق اهداف احدى الطرفين مقابل المال، بغض النظر عن جنسيته أو دوافعه الدقيقة، ولا يتقيد المرتزق بأي قوانين أو قيم أو مبادئ، سوى الأجور المرتفعة.

تعريف المرتزقة في نصوص القوانين الدولية:

يعرف المرتزق وفقا لنص المادة ٤٧ من البروتوكول الإضافي الأول لاتفاقيات جنيف لعام ١٩٧٧، (وهي أول اتفاقية دولية

تتناول بالتحديد موضوع المرتزقة) بأنه أي شخص:

(أ) يجري تجنيده خصيصا، محليا أو في الخارج، ليقاتل في نزاع مسلح .

(ب) يشارك فعلا ومباشرة في الأعمال العدائية .

(ج) يحفزه أساسا إلى الاشتراك في الأعمال العدائية، الرغبة في تحقيق مغنم شخصي، ويبذل له فعلا من قبل طرف في النزاع، أو نيابة عنه وعد بتعويض مادي يتجاوز بإفراط ما يوعد به المقاتلون ذوو الرتب والوظائف المماثلة في القوات المسلحة لذلك الطرف، أو ما يدفع لهم .

(د) وليس من رعايا طرف في النزاع، ولا متوطنا بإقليم يسيطر عليه أحد أطراف النزاع .

(هـ) ليس عضوا في القوات المسلحة لأحد أطراف النزاع .

(و) وليس موفدا في مهمة رسمية من قبل دولة ليست طرفا في النزاع، بوصفه عضوا في قواتها المسلحة.

الشركات العسكرية والأمنية الخاصة :

يمكن اعتبار الشركات العسكرية والأمنية الخاصة شكل من أشكال المرتزقة، رغم انها من ناحية قانونية تعمل بصفة رسمية ومطابقة ظاهريا في عملها للقوانين الداخلية في بلد المقر، إلا أن هذا ما يؤكده واقعهم المنظور، فقد ضمت هذه الشركات في صفوفها كل العاطلين والعسكريين السابقين مقابل العائد المادي المرتفع، وتملك هذه الشركات الأسلحة المتنوعة والطائرات والاساطيل التي تمكنها من تنفيذ مهامها العسكرية، ومن أمثلتها (بلاك ووتر) التي استعانت بها الولايات المتحدة في العراق، وشركة (فاغنر) الروسية وشركة (جي فور أس) الإسرائيلية .

يرى فريق من الباحثين عدم وجود تمايزات حقيقية بين كل من المرتزقة وشركات الأمن والتسليح الخاصة، على اعتبار أن العاملين في كل منهما يحمل نفس المهنة "العسكرية " حيث يمكن توصيفهم بأنهم رجال أمنsecurity workers ، كما أنهم يقدمون نفس الخدمات ويسعون لتحقيق نفس الأهداف "الربح" ومن ثم فإن هذه الشركات بمنزلة النسخة المعدلة new version من المرتزقة. [2]

عدد جيوش الظل أو المرتزقة في العالم:

لا يوجد رقم محدد لتعداد منظمات المرتزقة في العالم لطبيعة عملها السرية، ولأنها تعمل في الخفاء أو تحت غطاء شركات أمنية خاصة، ولتغير هذه المنظمات المستمر، فقد تنشأ وتختفي أو تغير هياكلها ومسمياتها وفق ما تفتضيه الضرورة، مما يجعل تتبعها واحصائها أمرا شاقا، وعلى الرغم من ذلك فإن الشواهد خاصة في مناطق النزاع المسلح، تشير إلى عدد كبير ومتزايد من المرتزقة .

يقدر الباحث "باسل يوسف النيرب" في كتابه "المرتزقة جيوش الظل" عدد المرتزقة الأجانب في العراق بما بين ١٥ و٢٠ ألفا، تحت مسميات مختلفة مثل الشركات الأمنية والحماية وغيرها، منهم ما بين خمسة آلاف إلى عشرة آلاف من جنوب أفريقيا، وأضاف في كتابه الصادر عام ٢٠٠٨ أن عدد منظمات الارتزاق في العالم يزيد على ٣٠٠ ألف منظمة. [3]

أسباب وجود الشركات العسكرية الخاصة والمرتزقة في أفريقيا:

وجدت أرتال المرتزقة، والشركات العسكرية والأمنية الخاصة طريقها إلى إفريقيا لتوافر عدة أسباب، يمكن أن نسجل منها الآتي:

أولا: ضعف الجيوش الوطنية النظامية في عدد من الدول الإفريقية:

بسبب ضعف القوات المسلحة النظامية في بعض الدول الإفريقية في التدريب والتسليح بالأسلحة المتطورة المتقدمة، مع ما تشهده

هذه الدول من اضطرابات ونزاعات داخلية مسلحة، فقد أصبح ميسورا للشركات العسكرية والأمنية الخاصة الدخول إليها وعرض خدماتها .

ثانيا: ضعف الرقابة والمتابعة والحصر للشركات والمنظمات الأمنية داخل الدولة :

في بعض الحالات، يكون ضعف الرقابة والحصر والمتابعة والمساءلة للمنظمات الأمنية التي تتواجد على أراضي الدولة، سببا رئيسا في ممارسة هذه المنظمات لأعمالها الأمنية والعسكرية والاستخبارية، وفي بعض الحالات تزايد انواعها وأقسامها .

ثالثا: تفضيل الحروب بالوكالة باستخدام المرتزقة بدلا عن الظهور المباشر :

بعض الدول (وهذا هو الغالب في الوقت الراهن، مثلما يتعرض له السودان في الوقت الحالي من عدوان غاشم) تفضل سيناريو الحرب بالوكالة، عبر تدريب وتجهيز المرتزقة وتسليحهم، ونشرهم في مناطق النزاع المسلح، وتحاط العملية

بسرية كاملة حتى لا تفتضح الدولة التي تحارب بالوكالة، إلا أنه مهما كانت درجة التكتم والسرية، فإن الدولة التي تحارب بالوكالة ينكشف أمرها لدى الدولة التي يقع عليها العدوان، ولا ينطلي أمر السرية والتكتم إلا على المرتزقة أنفسهم فقط .

رابعا: النزاعات الأهلية والاقليمية:

في بعض النزاعات والصراعات الأهلية والإقليمية، تفضل بعض الاطراف المتنازعة الاستعانة بالمرتزقة للحسم السريع لنزاعاتهم واشتباكاتهم البينية .

خامسا: ضعف وهشاشة المؤسسات الحكومية :

ضعف المؤسسات الحكومية والعسكرية نتيجة الفساد السياسي، والاداري، وتفشي المحسوبية، من شأنه ان يكون مشجعا للمنظمات المرتزقة في عرض خدماتها الأمنية والعسكرية والاستخبارية لسد الفراغ العسكري والعملياتي في الدولة .

سادسا: التقليل من الخسائر البشرية والحفاظ على القوات الوطنية :

بعض الدول ربما تفضل استخدام المرتزقة في فض النزاعات المسلحة الداخلية، للحفاظ على قوتها الصلبة وعلى جيشها الوطني.

سابعا: تأمين مواقع الموارد الطبيعية في الدولة:

تستخدم بعض الدول الإفريقية شركات الأمن الخاصة لتأمين مواقع الموارد الطبيعية في الدولة، مثل مناجم الماس والذهب واليورانيوم، والتي تعتبر من الموارد الطبيعية النادرة ومخزونا استراتيجيا لاقتصاديات الدولة .

ثامنا: النزاعات المسلحة المتعددة داخل الدولة أو الاقليم:

تتطلب بعض الدول قوات اضافية لمواجهة الصراعات والنزاعات المتعددة داخل الدولة أو الاقليم، ومن ثم تنزع إلى الاستعانة بالمرتزقة .

تاسعا: عدم الاستقرار السياسي للدولة:

بعض الدول التي تعاني من الانقلابات العسكرية المتكررة وعدم الاستقرار السياسي في مؤسساتها، ربما يتكون داخلها مناخا فوضويا قد يدفع الحكومات الهشة للاستعانة بالمرتزقة .

المرتزقة في السودان: من أين أتى هؤلاء؟!

يقع السودان الذي يخوض فيه الجيش النظامي والقوات المشتركة، قتالا حاسما مع قوات الدعم السريع الإرهابية، تحت السبب الثالث من أسباب دخول المرتزقة إلى إفريقيا، وهو تفضيل بعض الدول الحرب بالوكالة باستخدام المرتزقة وجيوش الظلام، بدلا عن الظهور والنزال المباشر والعلني.

في تقرير لصحيفة "وول ستريت جورنال" ذكرت مشاركة مرتزقة كولومبيين في الحرب بالسودان إلى جانب قوات الدعم السريع الإرهابية، وذكر التقرير الذي أعده كل من "بينوا فوكون" و"جابريل شتاينهاوزر"، و"كيجال فياس" و"سمر سعيد"، أنه للوهلة

الأولى، تبدو مقاطع الفيديو المهتزة التي تم التقاطها بالهاتف المحمول في السهول القاحلة في منطقة دارفور بالسودان، مثل العديد من مقاطع الفيديو الأخرى التي خرجت من الحرب الأهلية الوحشية في البلاد: رجال يرتدون زيا مموها يقفون بجوار صناديق الأسلحة، ويعرضون غنائم معركتهم. ثم يقلب أحد الرجال أوراق السجناء الذين تم الاستيلاء عليهم حديثا وممتلكاتهم الشخصية.

"انظروا إلى هذا، إنهم ليسوا سودانيين"، يقول بلهجة عربية مائلة إلى لهجة الزغاوة المحلية، ويحمل جواز سفر صادرا عن حكومة كولومبيا على بعد حوالي ٧٠٠٠ ميلا: "هؤلاء هم الأشخاص الذين يقتلوننا"، كما جاء في المقطع. [4]

وأكد تقرير وول ستريت جورنال، أنه تم توظيف المقاتلين الكولومبيين الذين تم أسرهم الشهر الماضي في دارفور في وقت سابق من هذا العام من قبل شركة مقرها أبو ظبي تسمى Global Security Services

(GSSG) Group، وفقا لمقابلات مع أكثر من اثني عشر مسؤولا دوليا وقدامى المحاربين الكولومبيين، بالإضافة إلى مراجعة ملفات تعريف وسائل التواصل الاجتماعي ومواقع الويب الخاصة بالشركة.

وتصف الشركة نفسها بأنها المزود الأمني الخاص المسلح الوحيد للحكومة الإماراتية وتدرج ضمن عملاءها وزارات الشؤون الرئاسية والداخلية والخارجية في الدولة الخليجية. [5]

التقرير ذكر أنه تم نقل المجندين الكولومبيين جوا إلى الأراضي الليبية التي يسيطر عليها أمير الحرب "خليفة حفتر" قبل عبورها إلى معقل قوات الدعم السريع في دارفور. ووفقا لتقارير الأمم المتحدة، كان "حفتر" مدعوما منذ فترة طويلة من قبل الإمارات. كما تقوم الإمارات بشحن الأسلحة وغيرها من المواد الحربية إلى قوات الدعم السريع، وفقا لما ذكرته صحيفة "وول ستريت جورنال" سابقا، وهي

النتائج التي دعمها أيضا خبراء الأمم المتحدة. [6]

ورغم ان استخدام المرتزقة يتعارض مع نصوص القوانين الدولية والاتفاقية الدولية لمناهضة تجنيد المرتزقة واستخدامهم وتمويلهم وتدريبهم، فانه يمكن ان نشير إلى ان الدول الداعمة للإرهاب ولجيوش المرتزقة الذين تم توجيههم للسودان، تحاول تجنب نصوص القوانين الدولية والمواثيق، أو التهرب من الاتفاقيات الدولية، لذا تستخدم المرتزقة لتنفيذ عملياتها العسكرية وتنفيذ استراتيجيتها، وللتهرب من جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية!

تؤدي سياسة الاعتماد على شركات الأمن الخاصة منافع كثيرة للدول الغربية خصوصا الولايات المتحدة وبريطانيا، حيث تتمركز المقار الرئيسية لهذه الشركات، ومن هذه المنافع تخفيض النفقات عن كاهل وزارات الدفاع، وتخفيض الخسائر البشرية في القوات المسلحة من خلال الاعتماد على

تجنيد المرتزقة من مختلف مناطق العالم، ثم تجنب الإحراج الديبلوماسي ومناقشات القانون الدولي الناجمة عن التدخلات العسكرية من خلال التستر وراء شركات الأمن الخاصة، وأخيرا جذب التأييد الداخلي بالظهور بمظهر النزعة السلمية وعدم الانخراط المباشر، بقدر ما، في النزاعات الدولية المسلحة. [7]

ورغم ان استخدام المرتزقة في الحرب من شأنه ان يزيد من أمد الحرب واطالتها، إلا ان منهجية الجيش السوداني الذي اتبع سياسة الصبر الاستراتيجي، والخطط المحكمة، كان محصلتها انحسار التمرد الذي تقوده قوات الدعم السريع الارهابية والمرتزقة، واجلائهم ودحرهم من اغلب المناطق والولايات التي كانوا يسيطرون عليها .

الخارجية الكولومبية من جانبها ابدت اعتذارها وأسفها لتورط عناصر كولومبية في الارتزاق. وفي ٢٩ نوفمبر/تشرين الثاني أصدرت وزارة الخارجية الكولومبية بيانا

أعلنت فيه بدء جهودها لإعادة "الكولومبيين الذين خدعوا في السودان"، وأشارت إلى أنها تحقق في مزاعم قيام كولومبيين "بممارسة الارتزاق في السودان"، وقالت في بيانها إنها تعمل على تسهيل أمر عودتهم إلى البلاد. [8]

في سيكولوجيا ودوافع المرتزقة:

1_الضغوط المادية والاقتصادية :

تمثل الأجور المرتفعة التي تقدمها شركات الارتزاق العسكرية للراغبين في الانضمام لها من الجنود الكولومبيين المتقاعدين والذين تم تسريحهم، تمثل عرضا مغريا، وغالبا تكون الاجور أعلى بكثير مما يمكن ان يحصلوا عليه في بلادهم .

قال الدكتور "أولريخ بيترسون"، الخبير في تجنيد المرتزقة في جامعة ليفربول، لصحيفة «الباييس»:" يكاد يكون آخر حلقة في السلسلة دائما هم أولئك المعروفين في هذا المجال بمصطلح «رعايا الدول الثالثة» الذين يأتون من كولومبيا أو

بيرو أو السلفادور أو الصومال أو نيجيريا. وليس معهم جوازات سفر معتمدة ولا أموال لحجز تذاكر الطيران، فتفعل الوكالات بهم ما تشاء. "ويمكن أن تمثل تلك العقود للجنود الكولومبيين المتقاعدين ما يصل إلى خمسة أمثال معاشهم، فيغريهم ذلك العرض. [9]

أما المرتزقة التشاديين فان الالتحاق في القتال كمرتزقة يعتبر مصدر دخل للأفراد وعائلاتهم، ربما أكثر مما يحصل عليه في بلاده، التي تعتبر من بين أفقر دول العالم، والفرص الاقتصادية بها محدودة.

يقر" العابد مصطفى البشير"، رئيس دائرة حماية حقوق الإنسان والحريات والمفوض باللجنة التشادية الوطنية لحقوق الإنسان (حكومية)، بوجود تشاديين في قوات الدعم السريع، مؤكدا أن ٧٠% من المجندين التشاديين في قوات الدعم السريع من المناطق الريفية، ويقول: " هؤلاء ليس لديهم أي توجه أيديولوجي وإنما يذهبون للدول المجاورة بحثا عن لقمة العيش

والسبيل الوحيد بالنسبة لهم هو الانخراط في الحركات المسلحة، مضيفا لـ"العربي الجديد" أن أسباب انخراط الشباب التشادي في الحركات المسلحة، سواء في الدعم السريع وسيليكا بأفريقيا الوسطى، هي سوء الظروف وانعدام أساسيات الحياة في تشاد، وهو ما تؤكده قاعدة بيانات البنك الدولي للفترة بين اعوام ٢٠٠٨ و٢٠١٩، إذ بلغت نسبة الفقر متعدد الأبعاد ٨٥,٧% من إجمالي السكان، كما بلغت نسبة شدة الحرمان خلال نفس الفترة ٦٢,٣%. [10]

2_اضطراب ما بعد الصدمة :

لا يستطيع المرتزق الذي عرك الحروب سنوات طويلة، أن يتعود ويألف حياة الاستقرار والقانون والمدنية، لذا يصاب باضطراب نفسي عميق، وتبدو له العودة إلى البيئة القتالية أفضل وأنسب الحلول .

3_الخداع والاستغلال :

تشير بعض التقارير، ان بعضا من المرتزقة يتم خداعهم وتضليلهم بعقود عمل زائفة،

ويتم تجنيدهم اخر الامر مرتزقة، بعد تدريبهم وتسليحهم تسليحا جيدا، مع وعود بأجور مرتفعة .

4_ النفعية والبراغماتية الذرائعية:

يعتبر مبدأ الانتفاع والبراغماتية والكسب المالي، هو المبدأ الوحيد الذي يمكن ان يتوفر للمرتزقة على اختلاف جنسياتهم، وهو مبدأ ينطوي على الانانية وحب الذات مهما كانت تكلفة ذلك! ويكون تفكير المرتزق متجها بشكل كبير على الأجر المتوقع والمكافآت المحتملة وتقييم المخاطر مقابل العائد المادي، نظير الخبرة القتالية .

5_تباين وتنوع الدوافع:

من المهم ايضا التأكيد على أن هناك تنوعا كبيرا في دوافع المرتزقة. بعضهم قد يكون مدفوعا باليأس الاقتصادي، والبعض الآخر بالبحث عن المغامرة، وآخرون قد يكون لديهم دوافع أيديولوجية أو سياسية خفية أو متغيرة، إلا ان الحقيقة المؤكدة

والتي تجمعهم ، هي البحث عن الكسب المالي والأجور المرتفعة.

ملاحظات حول التحديات والمخاطر المرتبطة بوجود المرتزقة :

في التحديات والمخاطر المرتبطة بوجود المرتزقة في السودان يمكن ان نسجل الملاحظات الاتية :

1_وجود قوات المرتزقة في مناطق العمليات من شأنه ان يؤدي إلى اطالة أمد النزاع والحرب، لأن المرتزقة لديهم مصلحة مادية بحتة في استمرار حالة الفوضى وعدم الاستقرار، كما يؤدي تدفقهم عبر الحدود إلى زعزعة الاستقرار في المناطق المجاورة وتأجيج النزاعات الإقليمية.

2_شهدت ساحات القتال في السودان مؤخرا، تراجعا ملحوظا لدور المرتزقة ووجودهم، بعد ان اتبع الجيش السوداني والقوات المشتركة خططا محكمة وطويلة الأجل، كان نتاجها الظاهر هو تحرير كل المناطق التي

كانت تسيطر عليها قوات الدعم السريع الارهابية بمعاونة المرتزقة.

انخفاض حماس المقاتلين من امتدادات قبائل الجنجويد الإفريقية لساحة الحرب في السودان هو الانقلاب الواضح في موازين القوى، خاصة خلال الستة أشهر الأخيرة، حيث استطاع الجيش السوداني أن يعيد ترتيب نفسه وأن يمتص الصدمة، التي كان تعرض لها العام الماضي، بل أن يندفع لمحاصرة الميليشيا وطرد قواتها من مناطق كثيرة، مستعينا بمجموعات من المتطوعين، ولكن أيضا بحركات مسلحة من قبيلة «الزغاوة»، التي يمثل لها صعود الجنجويد تهديدا وجوديا. جعلت هذه الصورة كثيرا من المنخرطين الأفارقة يدركون أن حلم دولة الجنجويد، التي أرادوا أن يكون لهم دور في بنائها وتأسيسها لتكون بديلا عن دولهم، التي يرون أنها لا تمنح شعوبهم التقدير الكافي، صار بعيد المنال. هذه الخلاصات جعلت كثيرا من المقاتلين الأجانب يكتفون بأخذ ما خف وزنه وغلا ثمنه من

مسروقات وثروات، قبل أن يبدؤوا رحلة هروب لا يأملون فيها إلا النجاة بأنفسهم. [11]

ختاما ينبغي التأكيد على ثلاثة أساسيات جوهرية تتعلق بالدولة والمرتزقة:

اولا: ان دوافع ومحفزات المرتزق هي المال بصورة أساسية، بمعنى ان عقيدته ودافعيته للقتال هي المال، مقابل الطرف الاخر وهو الجندي النظامي الذي يمتلك عقيدة ودافع أكبر من المال والأجور المرتفعة، وهي عقيدة الدفاع والذود عن الحق والأرض والعرض، ولا يمكن باي حال من الأحوال ان تقارن الدوافع المادية للمرتزقة مع عقيدة الحق والأرض والعرض.

ثانيا: يمكن ايضا الاشارة إلى فقدان الاتزان عند المرتزقة، الذين هم عرضة للإصابة بالقلق والتوتر، والضياع وفقدان الذات، وفقا للطبيعة النفسية السيكولوجية لديهم، مقارنة بدرجات

الاتزان النفسي العالية، والثبات، وقوة الإرادة، لدى القوات الوطنية.

ثالثا: بنفس المستوى فيما اتصور، يمكن عكس هذا المفهوم على الدولة التي تحارب بالوكالة عبر أذرع المرتزقة، فهي تفتقد الاتزان النفسي والسلوك المستقيم، وهو الذي يجعلها تستعين بالمرتزقة عبر شراء ذممهم بالمال، مقابل درجة الاتزان النفسي، ودرجة الثبات العالية جدا لدى الطرف الثاني .

المصادر:

[1] _المعجم الوسيط

[2 _بدر حسن شافعي، دور الشركات العسكرية في الصراعات الإفريقية: قوات فاغنر نموذجا، مركز الجزيرة للدراسات، ١ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٢٣ (تاريخ الدخول: ١٤ مايو /ايار ٢٠٢٥): https://tinyurl.com/245jtw5d

[3] _المرتزقة، موقع الجزيرة نت، ١٩ مايو/ ايار ٢٠١٥(تاريخ الدخول: ١٤ مايو /ايار ٢٠٢٥): https://tinyurl.com/3apphyxf

[4] _ باسل درويش، برعاية إماراتية.. مرتزقة كولومبيون يقاتلون إلى جانب "الدعم السريع" في السودان، موقع عربي ٢١، ١٣ ديسمبر/كانون الأول ٢٠٢٤(تاريخ الدخول: ١٤ مايو /ايار ٢٠٢٥): https://tinyurl.com/3932phe5

[5] _المصدر السابق

[6] _المصدر السابق

[7] _وليد عبد الحي، اسرائيل وشركات الأمن الخاصة، موقع مجموعة التفكير الاستراتيجي،٣ يناير / كانون الثاني ٢٠٢٠ (تاريخ الدخول: ١٤ مايو /ايار ٢٠٢٥): https://tinyurl.com/ykmdwv7a

[8] _الكولومبيون الذين خدعوا في السودان".. تحقيق بمشاركة جنود في الحرب، الجزيرة مباشر، ١٠ ديسمبر/ كانون

الأول ٢٠٢٤(تاريخ الدخول: ١٤ مايو /ايار ٢٠٢٥): https://tinyurl.com/34x43d22

[9] _قادمون لأمن الإمارات.. مرتزقة كولومبيون يواجهون الموت في السودان، موقع منبر الدفاع الافريقي، ٧ يناير/ كانون الثاني٢٠٢٥ (تاريخ الدخول: ١٤ مايو /ايار ٢٠٢٥): https://tinyurl.com/32hsft8n

[10] _محمد طاهر زين، تشاديو الدعم السريع... مرتزقة عابرون للحدود، العربي الجديد،١٤ سبتمبر / أيلول ٢٠٢١ (تاريخ الدخول: ١٤ مايو /ايار ٢٠٢٥): https://tinyurl.com/bp89bx5f

[11] _مدى الفاتح، السودان: مرتزقة كولومبيون في صف حميدتي، القدس العربي،٢ ديسمبر / كانون الأول ٢٠٢٤ (تاريخ الدخول: ١٤ مايو /ايار ٢٠٢٥): https://tinyurl.com/bdhzjumk

ضربة معلم: عن السيدة "بريجيت" اتحدث

لا أدرى ان كانت الصفعة التي وجهتها السيدة "بريجيت" السيدة الأولى في فرنسا، لزوجها الرئيس "ماكرون" في الطائرة الرابضة بمطار هانوي في فيتنام، في الزيارة الأولى لها بعد ما يقرب العقد من الزمان، لا أدري هل هي مستوجبة حقا للرضا والانبساط، أم أنها مستوجبة للرثاء والسخرية والشفقة، بالنسبة لي هي مستوجبة لكلا الشعورين، ومستوجبة لمشاعر وانطباعات اخرى عديدة، كلها سلبية للأسف، تجاه رمز يفترض فيه أنه يمثل دولة فاعلة وعظمى في المجتمع الدولي!

اما عن كونها مستوجبة للرضا والانبساط لي (وربما للكثيرين غيري) فلأنها عبرت عن

فعل بسيط، ربما يتمنى أن يقوم به أي فرد تجاه فرنسا ودول الغرب، التي لم تكتفي بوضع المشاهد فقط لما يحدث في المنطقة العربية، وما يلاقيه الغزاويين من صنوف الموت والأهوال، بل أنها (أي دول الغرب) وفي دور يتصف باللامبالاة واللاإنسانية، شاركت في كل الفظائع وجرائم الحرب التي يلاقيها الأهل في فلسطين، والذين يواجهون خطرا وجوديا، وتهجيرا ديمغرافيا قسريا، وآلة حرب لا تكف عن قتلهم والتنكيل بهم، فنزلت هذه الصفعة بردا وسلاما، وشفاء للصدور من كمية الغضب والغليان، الذي يعتمل في الصدور، ورغم أنه لا أحد يعلم حقيقة ما جرى داخل الطائرة الرئاسية على وجه الدقة بين الرئيس "ماكرون" وزوجه "بريجيت" أو المعلم السابق ل-"ماكرون" في مرحلة شبابه (كانت "بريجيت" معلمة له في مدرسة جيسون الثانوية، وتزوج بها لاحقا بعد انفصالها عن زوجها الأول، وبينهما فارق من العمر قدره خمسة وعشرين عاما !) إلا أنه مؤشر يدل على فساد واختلال

في العلاقة الزوجية غير المتكافئة، بين رئيس الدولة العظمى وزوجه، اذ يعتبر "ماكرون" في عمر أبناء "بريجيت"، وهو ربما ما دعاها لاستعمال وتطبيق قوتها البدنية على وجهه!

وكونها (أي الصفعة) مستوجبة للرثاء والسخرية، فلأن "ماكرون" الذي تؤدبه زوجه (رغم عدم معرفتنا بحقيقة ما جرى) مرة بالصفع، ومرة بعدم الامساك بذراعه بعد أن مدها إليه كعادته، وتمسكت هي بحافة الدرج، فهذا وحده مدعاة للرثاء وللسخرية في وقت واحد، من دولة تعتبر من الدول الفاعلة، والتي تمتلك حق النقض في مجلس الامن الدولي، المنوط بحفظ وتحقيق الامن والسلم الدوليين، لماذا؟ لأن الطبيعي أن يكون رئيس الدولة الفرنسي وكل الدول الخمسة دائمة العضوية في مجلس الأمن، على قدر عال ومتميز من درجات الانضباط والصرامة والوقار، والجدية، لأنها بوضع تكوينها السياسي والعسكري، لها التأثير الكبير في المجتمع الدولي، أما أن يكون

رئيس هذه الدولة ضعيفا أمام أهله وأقربائه المحيطين به، إلى الحد الذي ينال فيه الصفعات أمام الملأ، فهذا من المهازل التي من شأنها أن تقدح بدرجة كبيرة في رئيس الدولة، وفي الدولة العظمى ذاتها!

ومما يزيد في الرثاء والسخرية والشفقة في وقت واحد، هو أن قصر الإليزيه شكك في صحة الفيديو الذي بث هذه المهزلة، ووضع فرضية المؤامرة، التي ربما تكون (في تصوره) تلاعبا باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي، وهجوما كبيرا مدبرا من الاستخبارات الروسية، أظهرت فيه يد السيدة الأولى تضرب وجه رئيس الدولة لفترة وجيزة، وما ذكرته ايضا صحيفة لوموند الفرنسية التي قالت: ان "ايمانويل ماكرون" ينفي ان زوجته "بريجيت" قد صفعته في فيتنام. ولا أحد يدري كيف يصدق هذا الخبر الفرنسي الرسمي! ويكذب في الوقت نفسه ما نقلته كاميرا مصور وكالة "أسوشيتد برس"، وهو

ما يزيد من تفاقم المصيبة للفرنسيين وللمجتمع الدولي على السواء، فقد خلع "ماكرون" على نفسه صفة جديدة وهي الكذب الصراح والنفاق، في محاولة لدرء وتغطية الفضيحة المدوية! اضافة للصفة التي كان لا أحد يعلمها على الاطلاق، وهي العنف المنزلي الذي تطبقه السيدة الأولى "بريجيت" على رئيس الدولة الفرنسية، ومما لم ينجح فيه "ماكرون" (وهذا ايضا مدعاة للرثاء والسخرية) هو ان تعابير وجهه كانت تؤكد خلاف ما ذكره، فقد كانت تؤكد تعرضه للغضب والحزن من هذه الصفعة الموجعة من السيدة "بريجيت"، ولم يستطع ان يكون هاشا باشا طلق الوجه، مع نزوله إلى هانوي العاصمة الفيتنامية.

أيا ما كانت الانطباعات بشأن ضربة المعلم أو صفعة المعلمة السابقة التي شغلت الرأي العام والأوساط العربية والعالمية مؤخرا، في حدث يبدو نادرا في نوعه، فانه من المهم أولا في تقديري هو انطباع الفرنسيين أنفسهم عن هذه الحادثة وهي لم

تخرج عن هذه الانطباعات، فقد ذكر أحد المعلقين الفرنسيين على مواقع التواصل الاجتماعي: انه يكذب في شأن كل شيء.. انظر إلى التعبير في الوجه انه منافق.. هذا شيء مقزز. وقالت سيدة فرنسية أخرى :

برافو "بريجيت" الاف الفرنسيين يرغبوا ان يكونوا مكانك!

المحتويات :